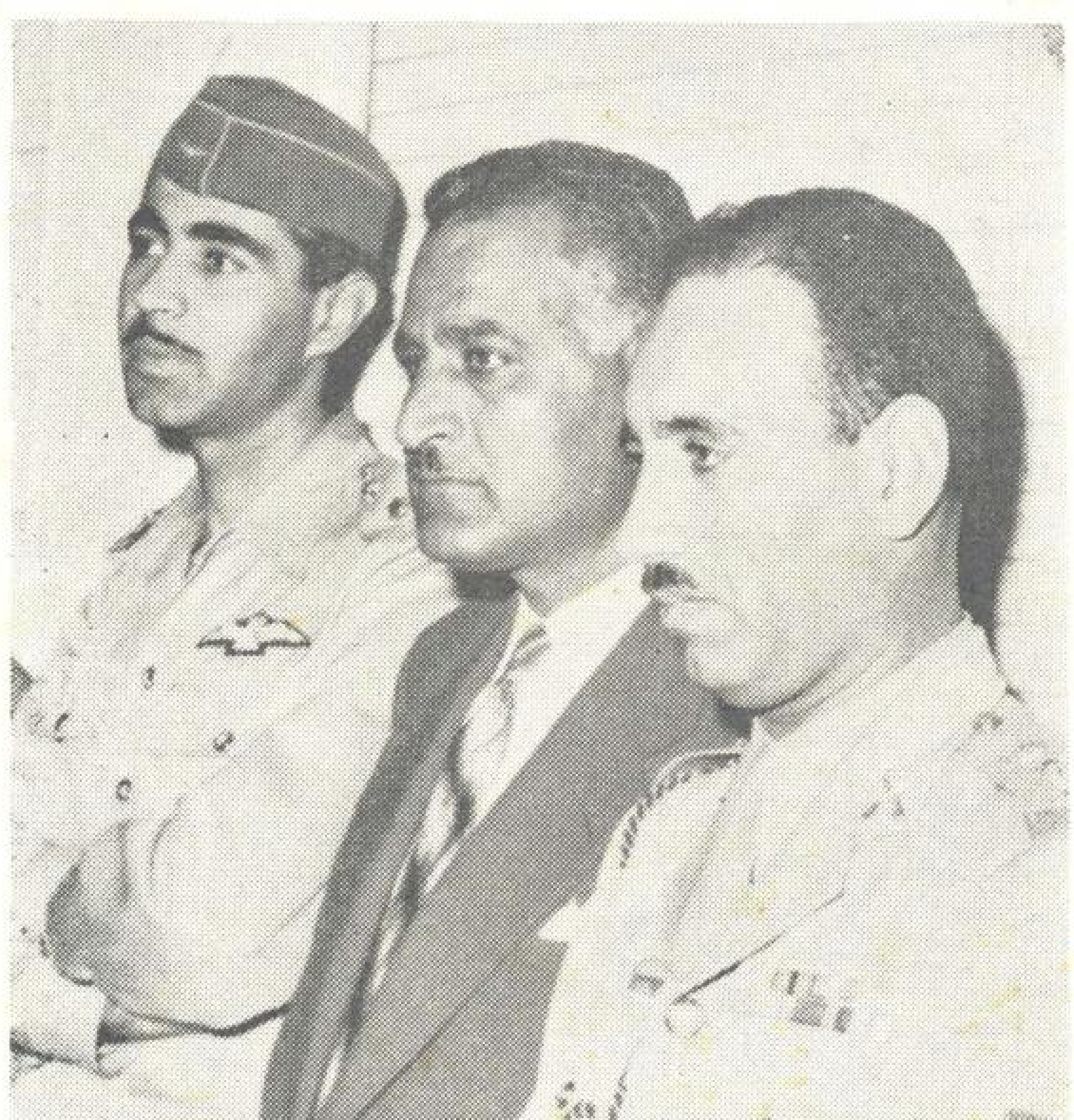
الثقافة

مجلة أدبية جامعة



رسل القومية العربية

آب ـ اغسطس ـ ١٩٥٨

صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة
مجلة ثقافية ادبية شهرية

دمشق ص . ب (٢٥٧٠) هاتف ١٦٢٩١

العدد الرابع
آب (اغسطس) ١٩٥٨
السنة الاولى

سر العراق

اعترف أنني ، من فرط حبي للعراق وأهله وما انتظره منهم ، ظلمتهم ذات يوم . كنا يومها نخوض في مصر وسورية معركة مصير الامة العربية ونلقي في ساحتها كل شيء ، وكان الاردن لم يشهد انقلاب ملكه على السياسة العربيـــة الحرة ، والسعودية تظهر انها للعروبة سند كبير ، فاذا التفتنا على العراق أطل علينا وجهه الرسمي بغيضاً متآمراً واطل وجهه الشعبي ساكناً متألماً . وذهب بي الظن الى ان العراق ، على عروبته الأصيلة، لن يثور لانه لايقدر . فالجيش استولى عليه عبدالاله ونوري السعيد فقتلا قادته الأحرار ، والشعب اضطهد بوحشية حتى اصبحت قواه الخيرة في السجون والمنافي، ولم تبق في أرض الرافدين قوة يعتد بها لخوض تلك المعركة . وقد تسجل ظني هذا في مقال نشر في صحيفة يومية وكان مزيجاً من عتب ويأس واستنهاض همة ، ووجدت بين الناس من أيدوني ومن عتبوا . وكان بين العاتبين ابن الشهيد صلاح الدين الصباغ الضابط العراقي الذي شنقه عبد الاله على وزارة الدفاع ثم مر بجثته فأطلق عليها الرصاص ، كما كان بينهم آخرون من العراقيين الذين يعرفون من امر اخواننا هناك ما لا نعلم .

ينبغي ان استغفر العراق اليوم على انني من حبي له و كثرة ما انتظره من شعبه قد استبطاته الى حد قارب اليأس منه . بل العروبة أولى ان استغفرها على ما بدر من ظن في طائفة كريمة حرة من ابنائهـــا ، أي في الاصالة العربية . ان الذي فعله المستعمرون بنا من فرقة بين ابناء القوم الواحد ، وسوء ظن بعضهم ببعض ، وما اجتهدوا حتى يقنعونا بأنه الامر الواقع واننا فرديون أنانيون لا تقوم لنا قائمة ولا تعصف ريح ، كل ذلك لا يشفع لي ولا لغيري في اننا قـــد افتقدنا الثقة بالروح العراقية أو ذهبنا الى انها نامت عن ثعالب الاستعمار . وانني لاحمد الله على ان ظني وظن المستبطئين خاب ، وان العراق حقق كلمة واحد من اعظم فلاسفة الثورة في الدنيا : تأتي على شعب عشرون سنة من ركود فكأنها مستنقع ، ثم تأتي ايام ثلاثة فتنحصر كل عاصفه الثورة في عشرين عاماً .

ثمة درس آخر يجب ان نستخرجه من ثورة العراق غير الثقة بشعبنا وقومنا ثقة لا تعرف الحدود . هـــذا الدرس نقدمه لاعدائنا عسى ان يثوبوا فيتوبوا . فاذا كان جيش العراق بالذات ، رغم ما فعلوه به ، قد طوى نفسه على سره عشرين عاماً حتى خدعهم عن امره، وأنه ما تربص كل هذا الوقت الا لسبب مادي يدخل في باب العجب وهو ان جنوده لم يكونوا يملكون أية ذخيرة لبنادقهم ومصفحاتهم ومدافعهم لانها كانت في مستودعات مغلقة بعيدة .. اذا كان جيش العراق رغم هذا قد قدر وثار على هيكل المستعمرين وقتل سندته وصفى نطاقه في ساعات ، فانه لم يبق أمام المستعمرين أمل في ان يجدوا قوة تحميهم ولا سنداً يؤيد مقامهم في أرض شعب ينبت الاحرار . فليفهم المستعمرون أن قواهم وقوى الخونة الصغار ليست مانعتهم من مد القومية العربية الذي بدأ يعلو في زحفه المقدس ان اعداء الانسانية في جنونهم من الحدث العراقي العظيم عادوا الى احتلال لبنان والاردن ، والعالم ساعة كتابة هذه السطور يقف واجفاً من احتمال حرب عالمية مبيدة مهلكة . ولكن أية احتمالات أو اخطار لن تدفع القومية العربية في طريق التراجع والهزيمة . لقد عشنا نكابد الألم دهراً طويلاً حتى رأينا نصرنا ، فالآن لا رجعة ولا ارتداد . والقومية العربية ستبقى حقيقة مظفرة ، حقيقة انسانية وحضارية غنية بمصرها وشامهـا وعراقها ويمنها اليوم ، وبالبقية الآتية الى نصرنا من كل أرض أضاءها مجد العروبة !..

نجاة قصاب حسن

الفن بين السكون والحركة

بقلم

صلاح المحائري

هل خطر في ذهنك أيها القارىء الكريم ان تتبين الفوارق بين انطباعات الحس العادية ، وما تتصف به من انطلاق وتعقيد وتنوع ، وبين الصور الفنية وما تمتاز به من تخصيص وتحديد وقد امتزجت فيها انطباعات الحس بشخصية الفنان فغدت تألقاً جديداً محدوداً ، وتركيباً أصيلا واضح لمعالم تنطوي فيه عبقرية الفنان وأشواقه وطموحاته ، وتلم به البصيرة والمخيلة في لمحة أو لمحات عابرة ؟ . .

قد يخيل للناظر المشرف من قمة عالية على هضاب بعيدة وسهول قصية لأول وهلة ، أنه عثر على صورة محدودة معينة في عالم الحس لاتقبل التوسع والنمو ، ولكنه كلما أمعن في الاقتراب منها ازدادت معالمها اضطراباً ، وتمددت خطوطها وتنوعت ملامحها في ناظريه ، فذهب هذا التنوع وهذه التفاصيل المعقدة التي لاتتناهى ببساطة الصورة الاولى وجعلتها بدداً لاتطيب على التحيز في اطار معين ثابت . ولا نعني بهذا انكار التحديد والتخصيص على اطلاقهما في صور الاختبار الحسية العادية . ولكن هذا التحديد هو قاعدة في صور الجمال الفني وشذوذ في انطباعات الحس العادية . وسنعمد في بحثنا هذا الى وصف أنواع التحديد ودرجاته في مختلف الفنون :

في التصوير

اذا استطاع الفنان أن ينتزع من مزيج الحوادث والاشياء المتغيرة المتلاصقة في تيار الزمن حادثاً معيناً أو غرضاً محدوداً ينفذ الى كنهه ليضعه في قالب ثابت ، فهو اذ ذاك في حدود المبدأ الذي يرتكز اليه (فن التصوير) . فاللوحة ، اذن ، تصور ثابت « Static » لحادث معين مستقل عن غيره من الحوادث المقترنة به . وعندي ان اطار اللوحة الفنية لم يوجد اعتباطاً ، بل هو حاجز ملائم يحول دون اتصال ذلك الحادث المعين بما يكتنفه من عالم مستمر في تغيره واندفاعه ، ومتى تحيزت اللوحة في اطارها المحدود وأركزت الى الجدار المعد لها لبثت هنالك ثابتة لاتعبأ بالزمن الدائر ، وتبدت خطوطها للزائرين الذين يفدون لاستجلاء اسرارها في مختلف العصور ، من الزوايا والمسافات التي لم تتناولها يد الدهر بالتبديل . ولكن استقرار اللوحة ليس بالصفة الفذة التي يمتاز بها التصوير الثابت فان حجم الصورة يفوق في أهمية استقرارها ، فمتى كانت صغيرة سهل انتقاشها في المخيلة في لمحة سريعة . ولاريب أن العين تصرف زمناً كافياً في تجوالها بين شتى الطيوف والألوان التي تتألف منها اللوحة قبل أن يصبح موضوعها أو الحادث المراد تصوره مألوفاً ومحدوداً في مجموعه وتفاصيله . ولكن العين في انتقالها بين تلك الطيوف والالوان لادراك كنهها تظل متأثرة بالانطباع السريع الاول الذي يضم شتات التفاصيل في وحدة منسجمة وهذه الوحدة التي نشأت عن الانطباع الاول تحول دون التغير كما أن اختزال المصور الفنان لموضوعه يمنع الرائي من التطوح في تيه التفسير والتعليل . والاختزال هو القاعدة التي يرتكز اليها فن التصوير . وهو دليل ناصع على بعده عن تقليد الطبيعة ومايقتضيه من نقل ماتحويه من غنى في التفاصيل ، ولاسبيل الى مقارنة لوحة تمثل غرفة أنيقة تمثيلا دقيقا بأثاثها وزينتها بأية غرفة حقيقية في تفاصيلها التي لاتتناهى مهما تكن حقيرة في محتوياتها ورياشها .

فن الادب

من الاخطاء الشائعة التي تحول دون ادراك الروابط بين مختلف الفنون تشبيه الصورة الساكنة التي تتمثل في لوحة ما بالصورة اللفظية التي يطالعنا بها فن الادب في مختلف فروعه ومعنى هذا ان التأثير الذي تحدثه الصور اللفظية الادبية يمكن أداؤه بالخطوط والالوان ولو الامر كذلك لكان أحد الفنين تكراراً مملا وفيضا لاغناء فيه . لاجرم أن للوصف سمة فارقة وقوة مستقلة تجعلانه مختلفاً عن الرسم ، لانه يعمل على توليد صورة مغايرة في نوعها للصورة الثابتة الساكنة « Static » يمكننا أن ندعوها بالصور، المتحركة المولدة « Dinamic »

وكلما أمعنت العين في النظر الى اللوحة الماثلة تبدت لها حيويتها الخاصة ظاهرة محدودة في نطاق مرسوم . أما المحاولة التي يلجأ اليها الناقد لاخراج صورة خاطفة من ثنايا الكلم المتحرك ، وفصلها عن جريانه فهي محاولة عقيمة تذوب فيها الصورة المنفصلة في ضوء الفكر الفاحص ، كما تتلاشى طيوف الحلم في يقظة الوسنان .

ونحن لاندعو الصور اللفظية في وصف فني بالصور المتحركة المولدة لانها تتلاشى بانفصالها عن مجرى الكلم فحسب ، بل لانها في حقيقة الامر والواقع جزء صغير من سلسلة الصور المتلاصقة

تستمر فيه عناصر الصور السابقة وتكمن فيه خطوط الصور اللاحقة ، فقوته آتية من هذا الاتصال الموار ، وآية ذلك ، تلك الهزة الفنية التي تحدثها الصورة المائعة وهي متحركة متصلة بمجرى الصور المتعاقبة في القصيدة ، والتأثير الضئيل الذي تولده فنيا وهي منفصلة عن تيارها ، ويبدو هذا على أتمه في الشعر الغربي الذي تتجلى فيه وحدة المعاني والخيال في مجموع القصيدة، ولكنه يتمثـــل أيضاً على قياس طبعه ـ في اجزاء البيت الواحد ، فهو اذن ظاهرة عامة في الشعر وفنون القول ، يتفاوت بين الضعف والقوة باختلاف طرائق النظم في الامم المختلفة واليك مثلا ، ماقاله ابن الرومي :

ان انس لا أنس خبازاً مررت به
يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
مابين رؤيتهـــا في كفه كرة
وبين رؤيتهـــا قوراء كالقمر
الا بمقـــدار ماتنداح دائرة
في لجة الماء يلقى فيه بالحجر

فأنت هنا أمام سلسلة من الصور الشعرية او صورة واحدة متحركة مترابطة الحلقات ، متداخلة الاجزاء . فاذا ماحاولت ان تفصل حلقة من هذه السلسلة جاءت صورة باهتة لا يبين القصد منها ، فحدود الصورة المتخيلة يتمثل في هذه المنظومة المتحركة من الاجزاء المتناسقة بكاملها . ولو اقتصرت على صورة الرقاقة المدحوة وفصلتها عن اللمحة العابرة التي تتحول في يد الخباز الصناع الى صور متعاقبة مترابطة ، بل اذا فصمت هذه الاجزاء المتحركة المتناسقة عن صورة الدائرة المنداحة المتحركة التي يحدثها الحجر في الماء ، كانت صورتك الجزئية المنفصلة نابية لاترمز الى شيء ولا ترمي الى غاية .

فن الموسيقى

ويتجلى التحديد في الموسيقى كما يتجلى في الفنون الاخرى ويتمثل أيضاً في الروابط المحكمة بين عناصر القطعة الموسيقية الواحدة ، وقلما يتأثر اللحن في جوهره ووحدة معانيه بانتقاله من طبقة الى اخرى ، اذ المعول في القطعة الموسيقية على اتساق الصور الموسيقية وتسلسلها الموزون لاداء مايفيض به الالهام الفني ، أكثر من انخفاض الطبقة وارتفاعها ، ولو حاولت ان تعزل نغمة من هذه المنظومة المتسقة لبدت لك جافة خالية من الروعة بالرغم من أنها محدودة في طبقتها ونوعها وقوتها . ولذا فالاهتزازات الحسية المتوالية المؤثرة في السمع عامل ضروري في تحديد ماترمز اليه القطعة الموسيقية وهي نتيجة هذا التيار المتحرك المولد . وتشغل الموسيقى في درجة التحديد ونوعه مركزاً متوسطاً بين طرفي التصوير الساكن الثابت والادب الوصفي المتحرك . فالتحديد في اللوحة ـ كما ذكرنا ـ هو وليد نموذج معين في الاحساسات البصرية أما في الموسيقى فهو وليد الاحساسات السمعية وهذه قد تحدث في الاسماع بمدها المتواصل تأثيراً مضطرباً ينافي ما نحن في صـدده من تخصيص وتحديد اذا لم تستند الى تيار منظم متحرك يشمل القطعة المؤلفة بكاملها . وفي فن الادب يكاد التأثير الحسي ان ينعدم فيغدو الوصف تياراً متحركا صرفا فالتأثير الحسي متفوق في اللوحة الفنية ، متوسط في الصور الموسيقية ويكاد أن يكون متلاشياً في نماذج الادب الوصفي وفنون القول .

الادب والموسيقى

ولرب قائل يقول اذا لم تكن الاحاسيس خيوطاً يغزل الادب منها نسيجه ، فما هو سبيله الى التخصيص والتحديد وماهي طبيعة المادة الملموسة التي يتجسد في قالبها؟ وهو سؤال جدير بالامعان والروية ، فقد تلقي المقارنة بين الادب الواصف والموسيقى نوراً يساعد على ادراك كنه هذا التحديد وان احتفاظ اللحن الموسيقي بجوهره في انتقاله من طبقة الى أخرى لهو برهان ساطع على ان الاحاسيس السمعية ليست كافية في ذاتها للدلالة على المعاني المنطوية في ذلك اللحن فاذا كانت (١) الانغام (٢) والروابط الوثيقة بينها (٣) والمشاعر أو الانفعالات (enuotions) هي العناصر التي تتألف منها تلك المعزوفة فيغلب ان تكون المشاعر آنئذ قالباً متحركا مولداً للقطعة الموسيقية تتجسد فيه روح المؤلف ويؤيد استنتاجنا هذا ، مايحدثنا به علم النفس الحديث عن الصلة الوثيقة بين الشعور والعمل او توقع حدوث العمل . ولاريب ان البون شاسع بين التأثيرات المختلفة التي تحدثها الانغام المتحركة المولدة بطبيعتها والتأثيرات الحيوية والاجتماعية العادية . فاذا كان ثمة تشابه ضئيل بين تأثير الفن والمشاعر الحيوية العادية فمن الغلو في الرأي ان نحسب الانفعالات التي تحدثها الموسيقى في النفس مماثلة كل المماثلة للانفعالات والمشاعر العملية البادية في افعالنا الحيوية من حزن وسرور وحب وكراهية الخ ... كما وقر في اذهان كثير من فلاسفة الجمال . فالحزن المنبعث من قطعة موسيقية معينة مباين في جوهره للحزن العادي الناشيء من آلام الحياة اليومية . فكل شعور واقعي عملي هو ـ كما يرى الفيلسوف الاميركي (ديوي Dewey) ـ حـــافز لصرف

ما انكبت في صميم النفس بسلسلة معقـدة في الاعمال لا تحصر اشكالها بما يجعلها نتيجة لانطباعات الحس العادية . اما الشعور في الموسيقى فهو حافز للاحتفاظ بالاحاسيس التي يتلقفها السمع في سلسلة متعاقبة محدودة وكبتها في صميم العقل الباطن وهذا الفارق العظيم الذي نلمسه في أثر الشعور بين الناحيتين يجعل مقارنة الموسيقى بالادب الواصف على أعظم جانب من الخطورة لأن التخصيص او التحديد ، وهو السمة الفارقة لصور الفن – كما قررنا في مستهل البحث – يرتكز الى وحدة المعنى والشعور ، وهو لذلك مستحيل يمتنع على المشاعر والانفعالات الواقعية العادية المتنوعة .

تجاريب الحياة :– لننتقل من الموسيقى الى حقل الاختبار الفسيح في حياتنا العامة فقد نعثر على مثل اوضح يساعدنا على تفهم طبيعة المادة التي تتجسد في قالبها الصور الادبية : –

لقد ذكرنا فيما سبق من القول أن التحديد قاعـدة في صور الجمال وشذوذ في انطباعات الحس العادية التي نحياها . ومن الامثلة القليلة التي نسردها من تلك الشذوذ صور الاشخاص التي تطبعها الذاكرة في ثنايا العقل الباطن فتمكننا من معرفة صديق عزيز ونسيب قريب . فهذه الصورة يجب ان تصل الى درجة كافية من التحديد فتكشف لنا الوعي المحتال مهما يكن بارعاً في التضليل وحاذقاً في وسائل التخفي او تمكننا من تنسيق الوجوه الكثيرة التي تقع عليها نواظرنا في غياب الشخص الاصيل حسب درجتها من الشبه بذلك الشخص على ان هـذا المقياس الذهني لا يطيب على التحيز في صورة واضحة الخطوط والألوان بالمعنى الدقيق لأن المصور مهما يكن حاذقـاً لا يستطيع ان يستخلصه من ثنايا عقله الباطن لينقشه في لوحة واضحة بسائر تفاصيلها . فالتحديد او التخصيص في صور ذهنية كهذه يتمثل في وحدة الشعور فقط . واقصى ما يحتاج اليه المرء لمعرفة الوجوه الماثلة لعينيه شعور حدس يطابق الصورة الذهنية القائمة في مخيلته فالمشاعر اذن تكفي في حالة كهذه لمعرفة ما يقابلها من الاشياء المرئية وآية ذلك ان وجوه الاصدقـاء التي تبدلت خطوطها والجسوم التي تقوس عددها بعد غياب طويل لا تمنعنا – في الغالب من رؤية الشباب الغض المختفي وراء اهابها الظاهر كما انطبع في عقلنا الباطن منذ عهد التعارف الأول . فتباين الصورتين لم يمنعنا من معرفة مستجدة . لأن الشعور والشعور وحده مستقلا عن انطباعات الحس – الى حد بعيد – هو العامل الاصيل في الاستذكار . ولا اخال الصور الادبية الفنية التي تستثير النفوس وتفتح آفاقاً فسيحة من الجمال سوى قوالب من هذا الشعور وقد تختلف في درجتها ولكنها لا تختلف في نوعها وجوهرها .

خاتمة :– الجمال في شتى صوره الساحره قيمة علوية يكتشفها الفنان الرهيف في رحب الطبيعة المديد وفي مجاهل النفس الخفية فيمزجها بطوايا دخيلته ويصوغها قوالب متسقة فاتنة وعوالم رفيعة تحفل بالنماذج الفذة والمثل السامية فتحفز البشرية الى الوثوب من هوة الحيوانية السحيقة الى آفاق الانسانية العليا . واحسب اننا في الشرق العربي في حاجة ماسة الى جرعات روية من منهل الجمال الصافي تفهمنا معنى الحرية الفنيـة ، وهي أس الحريات واسماها ليستقيم عود نهضتنا الفكرية الفنية الجديدة . فالجذوة التي حملها (بروميثيوس) الجبار من أقاصي السماء لا تزال متأججة توحي للعالم بأسمى آيات الفكر واروع صور الفن .

دمشق صلاح الدين المحايري

يوم دمشق

شعر

نديم محمّد

الفـل والقرنفـل والسوسن المدلـل
وباقة من جنة اللحن ، ذراهـا ... بلبل
ونسم – قطف من الفجر – وافق مخمل
والجسر ، غـار ولآل ، .. مغرق مكلل
والعشب في دروبنا ... بمسكنا مبلـل
زينتنا في عيدنا ... وهكـذا التجمل
يافرحـة الامة بالنصر ، جناه بطـل
يافرحة زها بها السهل ، وتاه الجبـل
رقرقها الجدول ، وانهر عليهـا السنبل
دمشق ياعروس ، هـذا يومك المفضل
تنفضت فيه زغاريـد ، ورقت قبـل
تلفـت الامس له وأومـأ المستقبل
وصفق الشحرور سكران ، وجن الحجل
ورجع السفح ، فسالت بالرؤس القلـل
ورنق المساء ، حتى قيـل : لا ينسدل
وذهل الشلال ، حـتى ظن لا ينهمل
فجرري زهوك ، فالبرد بهيج خضل

١٧ نيسان ١٩٥٨ نديم محمد

هذا هو الجواب !

بقلم

فؤاد الشايب

كثيراً ما تطرح علي اسئلة متنوعة في موضوع الحياة الادبية ، ومصيرها في قيمة الانتـــاج الادبي ، ونشاط جماعات الادب .. واثار كبـار الادباء والكتاب . واقف احياناً امام هذه الاسئلة المباغتة ، وكأنها ماطرحت الا لتعترض طريقي ، وتصرفني عن عملي .. !؟

أقول عملي . واضع خطاً تحت الكلمة عمل .. لانني اشعر حقاً أمام السؤال الادبي ، بأنني خارج الحومة ، او بأنني لست بذي اختصاص ، وقد يكون لي نشاط ما فكري وعملي في المؤتمرات الادبية التي تنادى اليها الادباء في بيت مري لبنان وفي بلودان سورية ، ثم القاهرة اخيراً .. خـــلال السنوات الاربع الاخيرة ، ولكنني خلال هذه السنوات نفسها ، ومن قبلها سنوات اربع ايضاً او اكثر ، لم تعرف لي المطبعة اثراً جديداً ، لم يكن لدي فسحة من الوقت لاتابع اطلاعي على سير الحياة الادبية وتقصي أخبارها واثارها . ورغم ذلك كله ، وأمام الحاح السؤال ، اجد نفسي امام دعوة جميلة ، وايماءة فيها اغراء وسحر ولن يكون يسيراً على امثالي من اصحاب العشق القديم ان يشيحوا عنها ، ويمسكوا بقلوبهم فلا تتفتح لهـــا ، وتشرق لغمزاتها .

ها انا ازيح عن مكتبي ركام العمل ، واهش المعترض طريقي ، واشعر بحاجة الى الثرثرة مع صديق قديم او التأمل في زهرة او فكرة والتسكع دائماً بكسل وتراخ على جانبي الطريق ، كأن القدر قد اخلى من حولي لاغية الدهر ، واطلق قدمي في حقيقة التأملات ، والنجوى ، بعيداً عن الدار التي تحترق ، والاهل الذين ينامون في العراء ..

اسائل نفسي ، كما يسألني سواي : لماذا ركد النشاط الادبي الذي لمعت طلائعه البكر منذ بضع وعشرين عامـــاً في الجزء السوري ؟ ولماذا تخلف فريق كبير من أصحاب النشأة الادبية عن متابعة رسالتهم وهوايتهم ، وما خلقوا له كأصحاب فكر وفن ؟! لماذا سكت هدير الحديد في المطبعة .. وكيف تجمدت الحروف على بعضها بعضاً في صفوفها ، فغـــدت بين فكين جامدين كأسنان الموتى ؟!

قد يكون ركود الانتاج الادبي وصفاً لواقع عربي عام ، بل قد يكون انسانياً عالمياً شاملا ، كما يرى بعض النقدة والدارسين . ومهما يكن من امر العوامل العامة ففي رأيي ان العوامل الخاصة التي تحيط بواقع الركود في الاقليم السوري ، انما مبعثها هذا القلق العام الذي يعيشه العربي السوري في اقليمه المحاط باخطار مافتئت تهدد سلامتــه وأمته ، وتجسد هـــذه الاخطار تجسداً مهولا في نفس عربية حساسة متحفزة كالنفس السورية . وتحت مطرقة الزمان العنيفة ، غالباً ماتنمو الاكف العريضة ، والسواعد المشدودة ، حتى لتغدون انامل النسج الرقيق ، من علامات المرض او من مخلفات المستشفى ، بل اذهب الى ابعد من ذلك فاقرر وانا التمس بكل صدق مشاعري ، ومشاعر وسطي الذي اعيش فيه وارجو الا اكون مغالياً بأن الانشاد النرسيسي امام المحرقة ، نزعـــة نيرونية لايسيغها الذوق العام وان تظرف لها بعض المصابين بالسينيزم ، والاكسانتريزم او من يزعمون لانفسهم لقب (النخبة) من المجتمع الراقي . وهؤلاء قد وجدوا فعلا في بلد عربي شقيق ، يعتقد بعض المشرفين على شئونه ومصايره انه ليس بحاجة الى اسباب الدفاع عن كيانه ضد الخطر الخارجي ، لان العربي فيه بنجوة من اي عدوان حتى من عدوان اسرائيلي ، فلا قلق اذن ولا اضطراب ، بل هدوء وطمأنينة ، في ظل عزلة عنيدة ، مبادئها الانعزال المطلق عن تيارات العاصفة التي تهز العالم العربي مشرقاً ومغرباً ، وبدهي انها عزلة كاذبة ، يحيطها آلهتها بأسوار موهومة مصطنعة .

كيف بدأ عصر القلق الذي نعيش احداثه اليوم ؟! في جوابي على هـــذا السؤال ، لا اعطي نفسي صفة المؤرخ ، **بل هي حكاية حال أرويها كما عشتها شخصياً ، ولست اريد احداً ان يأخذ برأيي ، وحجتي ، فقد تصور الحكاية واقع هذا الجيل ، والعصر الذي نحياه ، وقد تكون مجرد تجربة شخصية لا تتعدى حدود ذاتي وشعوري .**

في عام ١٩٤٨ كنت منصرفاً بلذة غامرة ، الى كتابة قصة طويلة ، موضوعها حياة موظف عادي في جهـــاز الدولة ، وأطارها العام هذا الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه افراد صغار ، تدفعهم حساسية مفرطة في جو خانق الى تحدي كل تقاليد الحياة العادية السقيمة ، والوسط الجائر ، وعمل الوظيفة وكان العمل الفني الذي اكاد انصرف اليه ، يزقني بمتعة روحية

لا يعرف طعمها الا كل من عانى تلك الفترات من الصعود ومحاولة الابداع وخلق شيء حي من صناعة الحروف . كانت الوظيفة بالنسبة لي ، عملا تافهاً أؤديه بشكل آلية ، واشهد انني ما كنت احس بخطورة المرحلة التي تمر بها أمتي وهي في بدء معركتها الضارية مع اسرائيل ، وكان عملي الادبي ، مهما يكن من أمر انعكاس الاحداث الاجتماعية عليه ، يصرفني عن مشاغل الحياة اليومية ، بما يخلق حولي من مرتفعات لا تبلغها ولا تنفذ منها دقات الساعة ، وقعقعة الاسنة .

وفي صباح يوم من صيف عام ١٩٤٨ استفقت مبكرا وبين يدي اوراقي التي اكتب فيها قصتي ، وكنت في الساعة السابعة مستغرقاً في تأملاتي ومتابعة اشخاص القصة ، عندما دوى في اجواء دمشق هدير الطائرات ، وضجت معها صفارات الانذار فابتسمت ابتسامة ساحرة ، كما كان يفعل الدمشقيون كل يوم منذ الخامس عشر من ايار عندما اعلنت الدول العربية عزمها على انقاذ فلسطين ، وقلت طائرات يهودية هزيلة ، ليس لديها من القنابل سوى زجاجات محرقة ترميها وهي تمر لتحاول ان تعكر بها صفاء هذا الجو ، وطمأنينة هؤلاء السكان ، ولكن ماهي الاثوان ، حتى اطبق الجو على الشارع بضغط رهيب ، وارتفعت من الارض أمام شرفتي عاصفة من دخان ، وكادت العمارات على جانبي الشارع العريض ، ينطح بعضها بعضا تحت هدير قصف مروع وحسبت في فترة عابرة ان بناء بيتي قد سقط على رأس سكانه . وعندما نهضت من جلستي لا ستطلع الخبر ، كان زجاج النوافذ في البيت قد تحطم على رأس اولادي وهم نيام ، فاخذت اهدىء من روعهم ، ثم هرعت الى الشرفة لاشاهد خربا يثور منه الدخان تحت ضرب قنبلة شديدة الانفجار اصابت منزل الجيران قبالي ، والناس المبكرون الى اعمالهم يتصايحون ويتراكضون ويشيرون الى اعلى المنزل في الدور الرابع من بيت الجيران .

كانت هناك امامي وجهاً لوجه ، وعلى مرمى بصري ، تماماً فاجعة عائلة صغيرة مؤلفة من ام وابنتها . لقد هبطت القنبلة الكبرى المصنوعة في عواصم الدول الكبرى ، على سطح البيت فخربته ، وسقط الجدار على الشارع كما ينحسر الستار عن المسرح .. وكان هناك على المسرح الحزين وراء الجدار الساقط سرير الابنة الفتاة وقد شطرتها القنبلة شطرين وهي لا تزال نائمة ، والام التي هبت من نومها على صوت الخراب والموت ، تدور حول السرير دورات مجنونة تلطم وجهها ، وبخونها الكلام والبكاء ، وكانت تنظر الى الجمهور في الشارع وتلوح بيديها طالبة النجدة .

.. كانت الاوراق لاتزال بيدي .. فرميتها والحقد يغلي في عروقي ، وهرعت بثياب النوم الى الشارع نحو المنزل ، وانا اردد في نفسي يجب أن افعل شيئاً .. !!

تلك الكلمات القليلة التي رددتها وأنا ادرك منزل الفاجعة لاهثاً :

يجب ان افعل شيئاً .. ظلت مع صورة الفتاة الضحية تتردد في خاطري ووجداني زمناً طويلاً . يجب ان افعل شيئاً .. !! وانقلب لي وجه الحياة فصرت ارى كل شيء واجباً ، وعملا .. لا لذة ، وتأملا .. !

وعندما عدت الى اوراقي بعد شهور ، وفاجعة العائلة من دمشق قد انقلبت الى فاجعة امة عربية كاملة . كانت هناك اوراق مفقودة .. حاولت ان اكتب الاوراق ثانية فلم افلح . ومضيت بعد شهور اخرى في كتابة القصة ، ولكنني كنت اكتب متسكعاً متعثراً كمن يمشي في رمال وطين ، ومازلت حتى الان اكتب في اوراق موظف .. طوال عشرة اعوام ! وعندما اخلو الى نفسي ، او يدق باب هذه النفس سؤال .. أتساءل بدوري ماذا جرى ؟ ! ان الذي جرى ، هو انني فقدت ذاك الجو الظليل الذي كان يطيب لي فيـــها لاعتكاف ، والتــــأمل ، فقدت تلك الطمأنينة النفسية التي تلامس جبيني بكفها الباردة ، وتغمض جفني برفق لأنام على احلامي . لقد جف الينبوع ونزحت عنه الطير وتهدم الكوخ الحاني ، ففرت منه الاجنحة البيض ذات المتعة التي كنت التقط عنقودها حبة حبة ، غدت يغص بها حلقي ، ويواثبني من اجلها ضميري كاللذة الحرام ، لماذا تعتكف ايها الانهزامي .. وماهذا الهراء بين يديك ؟!

صحيح ــ اقول لنفسي ويقول لي الناس ــ ان الكاتب يجب ان يتفاعل مع الاحداث ، ويضع قلمه في موضوع زمانه . وصحيح ان الكاتب عندما يتفاعل ، وتمتلىء نفسه ، ويأتيه وحيه ، انما هو بحاجة الى ان يخلو بنفسه وتأملاته ، والخلوة ليست واقعا مكانيا فحسب ، بل هي ايضاً شعور بالارتفاع قليلا فوق مجرى الاحداث ، وبعيداً عن لاغية الدهر ، ليخلو خلوة صحيحة بتلك الحيوات التي حملها بقلمه نحو المرتفع حيث يستطيع ان يشاهد الناس مشاهدة اجمع ، ويحيط بهم احاطة اوسع .

ويبدو لي ان الاحداث ، تمعن في مطاردة صاحب التأملات

مطاردة ملحفة ، لتطرده من خلوة المكان ، وخلوة الشعور ، ولتقول له (يجب ان (تفعل) شيئاً .. ولتذكره بالواجب ، وبالعمل ، ولتردد عليه بأنه مسئول ، وان تبعاته لايمكن ان يحملها فرد سواه . وكنت اكتب واطوي كمن يقترف لذة محرمة .. في الخفاء .. ، واكتب احياناً وانشر لادغدغ لانانية الذات الادبية ، ببعض شفوف الحرير . . ولكني تحت قرع الزمان ، ونحيب الكارثة ، كنت ارى كل حرف ينطبع على ورق ، تافها .. حقيرا .. كاحقر ماتكون الذبابات تلصق اجنحتها بفخ الشريط اللزج .

وابلغ من هذه الحروف المزروقة على الطروس ، رشاش بمئة طلقة ، يكون بيدي ، عندما قصفت الطائرة دمشق ، فروعت وهدمت ، وفتحت على الشارع والمارة مسرح الفاجعة الصغيرة ، فاجعة البيت التي غدت من بعد فاجعة امة ، فاطارد الطائرة واصليها نارا متدفقة ، واشاهدها محترقة تهوي على الارض وقد تناثرت منها اشلاء المخربين وتناثرت نتف امخاخهم على الحجارة مع بقع الدماء ..!!

وأعود لاطرح السؤال على نفسي مرة تلو المرة : لوخيرت بين رشاش بمئة رصاصة ، تحارب به حربا وحشية ضارية ، وتنتقم لنفسك واهلك وذويك ، وللخراب الذي نزل بديارك ، وللعاصفة التي طوحت بامنك وسلامتك واستقرارك .. وبين ان تعطى فراغ خمس سنوات تؤلف بها في عزلة وتنسج بالانامل الرقيقة اثرا فنياً خالداً ، يضع بين يديك جائزة نوبل للسلام ..! فأيهما تختار ؟! اجيب وانا اصرف اسناني فاحس تحتها التراب واحس بلساني الجفاف والمر : رشاش بمئة رصاصة !!

وتصيح بي ذات تكاد تنقرض : كان يمكن ان تختار جائزة نوبل ايها المهزوم ، لو اتيح لشخصيتك الادبية ان تكتمل .

ولكنك محاولة فاشلة في مجال الفن ، ونشأة فكرية هزيلة مبتسرة لذلك عرجت ، وتهت ، منذ ان وثبت اليك اول مشقة في طريق الادب الطويل الشاق !!

ومن قال انني شخصية ادبية ، افسحت لها الاحداث مجالات الاكتمال ؟؟ ومن قال انني شيء في هذه الحياة سوى انني من جيل المحاولات الفاشلة ؟!

انا من جيل لا يصلح ان يكون جنديا حامل رشاش .. ولا يصلح ان يضع نفسه في طريق الادب الطويل الشاق ! انا من جيل ، العواصف ، والزعازع والانقاض ، اعيش حياة مكدودة ملوعة من اقسى مظاهر بؤسها وعارها ، انني لا استطيع ان اكتبها . انا من جيل اقل ماتوصف به حاله بين العجز الروحي والعجز المادي ، انه جيل التشرد وانا ما انا سوى واحد من اولئك المئات المتشردين ، العاجزين ، يتسكعون على الارصفة ، وهم يتضورون ، طموح كالجبال ، وزحف على الحضيض كالنمال ، يردون موارد الرزق من ايسرها سبيلا .. ومن وضع الله تحت جلده نبضا من الحس ، يعيش كل دقيقة من حياته ، في دوامة مستمرة من محاولات الانتحار !

تلك هي قصة من قصص ابناء الجيل ، لست ارويها لابرر نكوص الكتاب والادباء في ساحة الابداع الادبي ، ولا لافلسف عجزا اريد ان اجعل من فلسفته مدرسة فكرية ، او مذهبا ادبيا او اجتماعيا . انني اهنيء اولئك الذين يستطيعون ان يرفعوا فوقهم وهم تحت الانقاض سقفا ، يأوون اليه ويكتبون ، وينتجون بسرعة وسخاء وطمأنينة .. وأرجو ان تسعفهم مواهبهم ومابين ايديهم من طاقة ومناعة وفراغ ، ليكتبوا آثارا لاتقف في نجاحها عند اقبال قراء اليوم ، بل تتعدى ذلك بعيدا الى تقدير اجيال الغد . وفي هذا ، رسالة الادب الحي الخالد .

فؤاد الشائب

علمي

شعر

نديم محمد

طار ، في الافق ، جناحا وتخطاه رواحا
علمي سكران بالزهو ، غبوقاً واصطباحاً
خفقه ، أم عبق الطيب ، من الجنة ، فاحاً
يفرش البهجة والفرحة ، ورداً واقاحا
اسكرته كبرياء النصر ، فاستعلى .. جماحا
ترشف الروح هواه ألقاً ، والعين ، راحا
واذا صفق ، روى مسمع الدنيا صداحا

★

علمي فجر ، على الربوة والاهرام ، لاحا
علمي .. يامسبغ الحب ، على الارض ، وشاحا
أخصب الشعب ، وأمرعه اباء وطماحا
انت في ذمة اوفى الناس ، قلباً وسلاحا

نيسان ١٩٥٨ نديم محمد

خلايا السرطان

بقلم

محمد حيدر

« خلايا السرطان » .. قصة طويلة تعتمد على الحياة النفسية .على الحركة الطبيعية للنفس ، منظورا اليها من خلال الشعور واللاشعور . نخرج فيها على المفاهيم الشائعة للقصة : ١ - لا نهتم بترتيب الحوادث وفق الزمان الرياضي. بل نعطيها حسب الفعاليـة الداخلية للنفس ، لنحطم التقسيم التقليدي للزمن . ٢ - تنعدم فيها « الوحدة الخارجيـة » وحدة المعنى - وحدة الجملة ووحدة الاسلوب ، نعتمد على وحدة المجال الانفعالي . ٣ -لانكتفي بالدلالة اللغوية للكلمة في التعبير عن الفكرة او الحادث ، وانما نستخدم الاسلوب ذاته ، كوسيلة جديدة للتعبير ، بحيث نخلق تطابقاً تاماً بين الفكرة والاسلوب . والجزء المنشور هنا ، هو الحركة الاولى للنفس ، المدى الزمني الانفعالي .. الاول .

مهداة الى انيس منصور

للمودة والتقدير

((وكنت ميتاً هذه الليلة ، في وطأة حزن ساحق))

بلامعنى مضى اليوم ..

كل الايام متشابهة ، كعربات القطار .. على خط حديدي بارد ، يتلوى ويستقيم بلانهاية .

(تتعاقب الخطى ، تتوالى كالامس ،يمتدطريقها بلا أفق.. وتنتهي الى الرصيد الميت)

أي فائدة من الغد ؟

ينهشني الفراغ والسأم . القرف يأكل جسدي كالجرب . تمتصني المدينة الملعونة .تطفيء الروح وتميتها بالشلل .

لاجديد ..

وثواني الزمن في تكرر أبدي ، كخطوات السجان ، كليالي السجين .. أعيدها على نمط وحيد :

أستيقظ في الغد ..

أفتح عيني بكسل وفتور .. أتمطى في الفراش وأتثاءب . ثم انهض ..

ولكن أي معنى للنهوض ؟ (العالم فارغ وميت ..) ومن ثم أغمض عيني من جديد .

أنام بلا رغبة في اليقظة ، وأستيقظ وانا أود لو أنام .

لامبرر للبقاء ..

أنهض .. وأغتسل ، ثم أرتدي الملابس وأذهب الى الجامعة .

امشي .. الطريق أبله ، يتعرج ويمتد أمام ناظري .

(لماذا لاأركب الباص ؟)

افضل المشي . من الممتع ان يمشي الانسان . أتشرب دفقة الحياة على مهل . أحس أنني حي . اتصرف بوجودي واحرك جسدي كما أريد . من المؤلم ان يتنازل الانسان عن حريته ، ويترك مصيره في تفاعل الميكانيك الابله .

(اركب الباص .. تحاصرني الاجساد الميتة .. تستطيل منها الاطراف ، تخترق لحمي كالمشارط .يضغطني بعنف ، يدفعني الى الهاوية ، أعمق فأعمق .. كنت اقاومه من الداخل . أفرز جراثيم الدفاع . نظرت بحذر اليه ، تستدير ياقة على العنق .. أصابعه بلون النهار . يمتصني كالعلق ، يبتلعني وجه الكاـي.. أمضغه كعنكبوت ميت ..وتتخثر جراثيم الدفاع . العالم ينهار تحت قدمي ، والمنحدرات تتشعب وتمتد ..هدير الماء والسكون ثم الظلمة ، وانا اتراجـــع ، وانقلص ، وجزء من ذاتي ينفك وينزلق الى الهاوية .. وعندما توقف الباص فجأة ، تصمغت أصابعه على يدي ، عند ذلك صرخت من الرعب)

أفضل المشي ..

أمشي..وأتلاعب بذراعي دون سبب . أثنيها ، وارفعها الى اعلى ثم انزلها الى اسفل ، وانحرف الى اليمين ثم اتراجع الى الخلف مطوحاً جسدي في شتى الاتجاهات .

أمشي .

الطريق أبله..يتعرج ويمتدأمامناظري..وعيناي بلاهدف، تغوصان في العالم وهو يتكاثر في الشوارع ، وينتشر كالجراثيم .

ويلوح مبنى الجامعة القاتم ، وانا أسير على مهل ، لاصل دائماً متأخراً الى الدرس .

أدخل القاعة ، واجلس في تهالك على الخشب ، بينما المعلم ، يتحدث بطمأنينة عجيبة عن الحقائق . لقدحل الطلسم الابدي.

وينتهي الدرس ، وأخرج الى الحديقة ..أتأمل القطيع ، وينبثق ضحك هائل ، أشعر بالزيف .. وكل ماقيل في الدرس مجرد مهازل .

كنت أحس الفراغ . لامعنى لاي شيء في الحياة!!

درس . ودرسان . . وتنتهي وجبة العلم ، لاعود الى الطريق ، وحيداً . . اكرر المهزلة .

كانت اقصى رغبة لي أن أسير بتكاسل على الطريق ، اغرق بصري في تفاهة العالم . . أتملى القرف . وأعب من السأم .

انسان يسرع ، وآخر يتمهل ، واثنان يتجادلان بصوت مسموع ، وآخر قد تصلب على الكرسي ، ووراءه ستار أسود . والمصور يحركه بيديه ، ليحيله تمثالاً من حجر .

وسيارات مسرعة ، وشرطي يحرك يديه بلا ملل ، وباعة متجولون . وواجهات المخازن ، اتأملها باهتمام فارغ واقرأ اللوحات المعلقة على الجدران .

أتابع الطريق الى المقهى . . الطريق الذي قطعتـــه مئات الايام ، حتى صار جزءاً من حياتي يتكرر بلا انقطاع .

المقهى . والاعين الجامـــدة ، من وراء الزجاج ، تفرز الاموات على الرصيف . وانا اتفرس الزحام من مكاني المعهود ، وآلاف الرمم يقذفها الشارع ويمتصها من جديد . .

أصوات المقهى تخترق أذني وتختلط في رأسي بطريقة كئيبة : وقع النرد ، وزحزحة الكراسي ، وزمجرة الاراكيل ، وصياح يعلو على كل شيء : هات ناره ، واحـــد زهورات ، سكر خفيف . شاي ثقيل . واصوات اللاعبين . . بنج يك ، جهار وسي ، دوباره .

أشعر بتمزق شرس ، يدور رأسي من الضجيج . أتأمل المقهى . . رائحة التبغ المحترق . خيوط الدخان . واحجار الطـــاولة في تنقلها السريع ، حسب رمية النرد ، الى مصيرها المحتوم . وكتل بشرية حول الموائد . . يقعون على مؤخراتهم كالكلاب . يضيعون الزمن ، ويقتلون فراغهم بفراغ أعمق .

أي شيء يربطني بهذه المخلوقات ؟ بهذا الرجل الذي يتثاءب في بلادة ملء شدقيه ، بالصور المعلقة على الجدران . . بهـذا الاعلان السينمائي . . بالبطل المتحفز الى القتال . . والممثلة التي تبسم له في خلاعة متناهية .

ساعة . . ساعتان . . ساعات كثيرة . . سئمت الجلوس . اخرج الى الطريق . .

يقترب المساء . .

اتجول في الشوارع . . وحيداً . . معزولا حتى عن نفسي . يداي في جيبي . وجسدي يتحرك دون اراده ، بلاوعي واضح . لاأرغب في المشي ، ولا في الجلوس . لاأرغب في شيء . من الذي يحرك هذا الجسد ؟! لست أنا . . انني واثق ، لانني بلاهدف . . ينطوي جسدي على ممكنات خفية مدهشة . أتامله بقرف مرعب . أحس أحياناً أنني ضفدعه .

تتحرك يدي بطريقة المشعوذين . . أصابعي مرنة . . أضع سيكارة بين شفتي . . أحرقها بشراهة . . بوحشية نهمة . يتحسس جسدي الدخان المحترق . . يتشربه كالاسفنج ، اكثر من كل المتع الجنسية .

لاأشعر « أنا » بشيء . هناك هوة بين فكري وجسدي . لايمت أحدهما بصلة للآخر . انني معزول عن جسدي ، لاأفكر مطلقاً بما يحسه هذا الجسد . يتحرك . . يدخن . بمعزل عن تفكيري دون أن أعلمه شيئاً من ذلك . لاأعلم كيف يحدث هذا !! انني أحسه . .

المساء . .

والناس يعودون الى بيوتهم بسرعة ، بطريقة مفعمة بالقذارة والحيوانية ، مقتنعين بآلية الحياة اليوميه ، ومترعين بالتفاهات . . !!

يتلفتون بحذر . نظراتهم زائغة . . قلقة ، مذعورة . . في توقع دائم من حدوث خطر مجهول .

وحدي . . بلا جذور . . لااكتراث مطلق . كأنني لست من هذا العالم . . كأنه لايعني أي شيء . .

أعود الى ازمنة سحيقة . اتذكر طفولتي . . يتفجر الحليب من ثدي أمي . . أحسه بضراوه . . طعمه في فمي كرائحة أعشاب طريه .

المدينة ميتة . الهواء ممزوج بطعم رماد محترق . تتشعب الشوارع ، . تتسع المسالك وتمتد . . تتغلغل في لحمي فروع الاشجار . والحصى يملأ عيني .

يستيقظ المساء .

تدب الحياة في مدينة الاموات . علب السردين تتقيأ الجيف . . المنازل تفرز الجراثيم . تزحف الهياكل الممسوخة على مرايا الشارع الاسود ، والحشود الكريهة متراصة على الجـدران ، امام اعلان سينمائي مؤطر . . ترسم في خيالها المسعور ، صورا داعرة مليئة بالشبق ، للمرأة التي يجذبها البطل في قبلة لاأعـــلم كيف ترسم على الورق .

. . . .

أتنفس الهواء بصعوبة . انني مخدر في حثالة الجماهير ، كخلية من السرطان الميت . .

أمشي . . الطريق أبله . . يتعرج ويمتد . . اذرع الشوارع بحثاً

عن اللاشيء .

أواخر المساء ..

تعبت من المشي . يمزقني الفكر .. لقد انتهت رحلة اليوم الخمر .. ملاذنا الوحيد . تقودني قدماي الى الملهى ، نفس الطريق .. بخطى لاتتغير .. ساعة .. ساعات كثيرة .. ويمضي الليل ويطلع صبح آخر .. وكل شيء نجتره من جديد .

ما الفائدة ؟

لماذا وجدت في العالم ، وماذا اريد منه ؟

اجابني الآخر : يكفي ياولد . مشكلتي لعينة !! ألا يكفي انني سكران ؟

ــ ما الفائدة ؟!

لاشيء .. لاشيء ..

(كنت أسترد الجواب ، أمضغه مراً .. كالضفادع الميتة .. ملء فكي)

ملهى .. وأكوام من الديدان .. لماذا انا موجود ؟

بطحة ..

هه !! واختها على الطاولة الفارغه ..

أجابني الآخر : أقول ماسر هذه الافكار !!

موجود منذ ساعات ، وحولي هياكل ميتة تقعي على مؤخراتها كالكلاب . كل ماتفعل انها تقتل الزمن بالخمر .. ويقتلها السأم والفراغ .

يضحكون بلا مبرر ويصرخون . ، والهواء الخانق يفيض برائحة الشبق ، تفرزه الاحداق المغنطة على المرأة ، وهي تغوص في الجسد بتكالب مسعور .

ـ .. ؟ !

أنا .. !! هه .

لاشيء .. لاشيء ، مجرد اسم على هوية .. بطاقة من الورق كل ما أملك من العالم ، اعترافاً بأنني موجود .

اتفرج على صورتي المسجونة ، حتى لاضحك من شدة التفرج ، أليس من المضحك ان يرى الانسان نفسه مصلوباً على الورق ؟

ألي هذه الصورة ؟!

نسخة ميتة ، جامدة .. كسطح الزجاج الاملس (ويضحكني هذا التقابل)

موجود .. ورأسي دائر كالاراجيح .

(تتماوج الصورة .. تتسع بلا معنى وتتداح . ارتجف .. تبخرت منها الحياة لعلني ميت ، ليست لي هذه الصورة « بطحة فارغة » يتسرب النخاع من العظم .. المغائر مليئة بالوحل .. يتفسخ اللحم .. أقيء من فمي الدود) .

موجود على هوية ، وتاريخها يشير الى سبع وعشرين ، ولكن اين ياترى حلت دون أن اشعر هذه الاعوام ؟

سوف يستردونها في النهاية ، ونرتمي عاجزين وفي أعماقنا رواسب العمر كالصديد .

كانت تؤلمني الفكرة .. يرعبني الموت .. و .

فجأة : تنبهت الى ظله الملقى على الطاولة .. رفعت رأسي بحذر .. أذهلتني المفاجأة !! لم أتوقع أن أراه بعد تلك السنوات وفي هذا المكان .

« أبو الريش » صديق الطفولة .. سنوات المدرسة .. (من العجيب ان اتذكر الآن . اين كانت هذه الاشياء ؟)

واخذت بكتفيه وانا اصيح : ـ اعتقدانني سكرت ـ اهلين ابو الريش . وسحبت له كرسياً وانطلقنا نثرثر ..

الا تشرب ؟ طبعاً تشرب . من منا لايسكر هذه الايام ؟

عرق .. عرق ياولد . زوال .. الدنيا زوال . اين حطت بك الايام . تسع سنوات ، من يتصور ، هه ، سكران ؟ واضح انني سكران . ماذا تعمل هذه الايام ؟

عظيم ابو الريش . اناقة .. ملابس .. عطور (كانت رائحة العطر تفوح منه) عظيم .. (وقلت لنفسي انه كلب)

اجابني بسرور خبيث خفي . وهو يصطنع الاسف : تركت المدرسة كما تعلم . الدنيا نصيب . اصبحت موظفاً في شركة .

(تخيلته فوراً على اربع) وضحكت بصوت مرتفع !!

ــ .. ؟!!

لاشيء .. لاشيء . سكران فقط . ولأبرر له الضحك ، قلت : خطر لي منير افندي ، معلمنا في الصف الاول والثاني . وتذكرت فعلا حينذاك منير افندي ، وضحكنا معاً .

كان طويلا ، شديد الهزال الى درجة مفرطة ، ويركز نظارته على رأس انفه ، وكنا نعجب حينذاك كيف كان يتحرك دون ان تسقط . فاذا مشى أسرع كأن قدميه نوابض .. مطوحاً جسده الى الامام والوراء . (يبدو انني تعلمت منه هذه العاده)

اهلين ابو الريش . قلت لي شركة .. عظيم ، ماهذا ؟ خاتم !! تزوجت ؟ لا تثق بالنساء أبداً . كلهن خنازير (اتذكر بسيمه .. عدوى .. ب براه .. براه)

لماذا لاتشرب ؟

ــ....

تنام !! هه.. سوف تنام باستمرار . نومة ابدية . اسكر سيدي . ابن آدم خيال ، خيال.. اقل من حشره .

ــ.. ؟ !

أنا لماذا اسكر ؟ هه..مجنون.. مجنون أنت !! أخذها رجل آخر ، الا يكفي لأسكر ؟ العالم صلب..انها في أحضان زوجها الآن . قطعاً لاتفكر بي . النساء خنازير ، كلهن سواء.

(عدوى..ب براءه..ب بسيمه.. عدوى)

ونهض ابو الريش وتركته يذهب . (وقلت لنفسي انه كلب)

أجابني الآخر:...

وضاع حديثه في ضجيج السكارى وهم يصرخون: عظيم.. عظيم.

أي شيء هو العظيم في الكون ؟

...

كانت الراقصة تؤدي دورها على الحلبة ، وتخلع ملابسها قطعة قطعة..رقصة الاقنعة السبعه.. وينزلق رداؤها الداخلي فيبدو فخذها الابيض ، ليفتح نوافذ الشبق في ضجيج كالخوار .

أجابني الآخر : انها تنظر اليك .

(انتقي الموائد الخلفية..أحتمي بالجدار.. أتوقع خطراً مجهولا . من الحماقة ان يترك الانسان نفسه مكشوفا ، ماذا يحدث لو ان انساناً صفعك فجأة على قفاك .. ؟)

لي أيها الابله ؟ !

(اتردد منذ شهور. اراقبها باستمرار ..لاكتشف مدى الانحطاط..رمز آخر للجرائم . انها « مدينة مفتوحة » في خيالها المشوه رتل من الجنود ، وآلاف الطعنات .

يتخدر الجنس . الوحش الكامن يظل بارداً كالجبان)

ضحكت علناً . كيف واتتني هذه الفكرة : « المدينة المفتوحه » ؟ هذه تستحق كلمة عظيم .

وعندما انتهت من الرقص ، اقبلت نحوي تجر عجزها المكور ، حائمة بين المناضد كالذباب .

(وحطت عيناي على ذبابة..وانسحقت اسناني من الحزن في صرير مكتوم)

ياولد ..!! عرق .

والبطحة الثالثه

ــافتكرت : لماذا هذه الجدران ؟ اربعة.. في تماسك غريب . كيف يعيش الانسان في مكان مغلق محصور ؟

(اختنق. أتمزق.. يتجول السمك في الشبكة .. في مجالها المحدود .)

كنت احدث نفسي بصوت مسموع ، وكان الباب مفتوحا امام المرآة..

قالت : لقد سكرت ..(لماذا تضحك بخلاعة ؟) « فعلا انها تراقبني » .

ضحكت بصوت أصم .

قالت : لماذا تشرب وحدك ؟

ــ لانني وحدي ، من الغريب ان يشرب الانسان وحده؟

اجابني الاخر : لقد سكرت .

كنت ازمع الخروج فراراً من الديدان ، ولكن عندما جاءت هذه المرأة ، شعرت نحوها باخلاص لم اعهده من قبل، باخلاص كان يقترب من الفاجعة ، لان جسدها الذي تبيعه كل ليلة ، يجسد عبودية الانسان..حقارة الجنس ، وكل نفايات العالم وفواجعه .

(كيانى يجسد السأم..احتراق الشهوة ..كل المتناقضات الانسانية)

ــ اجلسي يابنت ، اعرف انني سكرت . ولكن..

(يحتوي الذبابة « مجالي » البصري..لقد نمت واستطالت مخالبها الى عيني..راسي مليء بحشد من النمل والذباب)

اليست افضل منا هذه الملعونه ؟ انها تطير بحرية ، لاتفكر لاتفكر . « من يأخذ مني هذا العقل ؟ كنت اذوبه في الخمر » انها لاتفكر ، بينما نتمزق بكآبة مريضة ..بالملل .. بالخواء الذي ينتشر كالليل .

اجابتني عدوى : يكفي ، لقد سكرت ، مجنون انت؟!

(وكنت اشرب بسرعة زائدة ، بظمأ حقيقي)

قلت لها بحزن : اريد ان اموت ببطء.. اكره الموت المفاجيء . لماذا لا اشرب ؟ جسدي سيأكله الدود ، ساعطي للحياة كل ماأملك ، يجب ان نفعل كل مايعطي الالم، واليأس واسوأ النتائج .

قالت وهي تزيح من امامي الكأس : يكفي . كل يوم سكر ، كل يوم ، حرام .

كانت تحدثني بشفقة غريبة ، كأنه فعلا يهمها الامر. ولكني تجاهلت ذلك وقلت لها بضجر ، وأنا املأ الكأس من جديد : أشربي يابنت . لاتكثري من الاسئلة ، انك ثرثارة .

كان جسدها يرسم الحزن ، وشيئاً كأنه الخيبة .. كأنه شيء من ذلك !! لا اعلم .. وكانت تشرب ببراءة .

(لم اقصد ان اؤلمها ، اردت فقط ان اريحها من افكاري . انها لا تفهم ، انا في جهة وهي في الطرف النقيض)

قلت لها ، وكانت تشرب بظمأ روحي : اشربي كما تريدين يابنت .

العرق .. والدخان .. الدخان المحترق .. عزاؤنا الوحيد في العالم . انني سكران .. لا علاقة لك بالامر . انني أكلم نفسي احياناً . لا تحزني ياعدوى . سكران .. سكران !!

ولكن لماذا يهمك أمري ؟

ــ انني احبك .

تحبني .؟ هه . منذ متى ، كيف لم أعلم من قبل ؟

((تبتسم لي ع .. عدوى . واحياناً ب .. براءة .. بسيمه . كلهن سواء . انها « مدينة مغلقة » ولكن بشكل معكوس . كانت تحبني ع .. وكانت في منتصف الطريق ، ترقص في توازن على الحبل .. على حبل ، وحبلين ، وأربعة وخمسة . تعطي كل شيء على ان تظل ترقص في توازن . كنت الذي قطع الحبال وارسلها الى الهاوية !!

كنا وحيدين .. وكانت عيناي تتركزان في احداقها المتعبة ، وأنا احاول ان الامسها وجهاً لوجه . كنت أريدها ذلك المساء .. ولكنني شعرت نحوها بالحزن ؛ اشفق عليها من السقوط .

تقترب مني .. يرعبني صدى الخطوات .. يفور الدود من عدوى . تتحسس عنقي .. تقبلني بشراهة .. وظلت عيناي مفتوحتين . وعندما جذبتني اليهـــا بعنف ، انتابني الخدر وشعرت بالدوار ..

أتحسس لحمها الابيض ، خـــلايا جسدها المحرق .. وأقبلها مغمض العينين . كنت افجر كيانها بشراسة .. بطريقة مجنونة ، وشعرتها ترتجف على ذراعي . وعندما فتحت وجهي في عريها المكشوف .. قفزت بلا وعي من الرعب !!

كانت عارية كالضفدع المقلوب .. عارية من كل شيء ، الا من جسدها الذي كانت تعيه بقسوة ، وتفرضه علي بعمق لا يقاوم ، بعمق مميت !! « كان فكري يحترق ، وكنت أعيه كالشمس » .

شعرت حينذاك بالهوة بيني وبينها من جهة ، وبيني وبين ما أريد من جهة اخرى . الحقيقة انني لا أشتهيها ولا أرغب في شيء كهذا على الاطلاق .

جلست قريباً منها أدخن .. ظهرت على وجهها علائم الدهشة والضيق . كنت أسجنها بعيني .. احتقر وجودها الجسدي .. كانت بلا حركة .. يجرجرها فكري العملاق . انها تعي المهزلة ، مدى الانحطاط الانساني .. حقارة الجنس .

وعندما وقفت لاذهب ، تدفق دمعها الحبيس بصراخ حيواني ، واخذت تشد شعرها بعنف وتنشب أظافرها في وجهها الغض ، ثم تثب في الهواء كالمجانين .. لترتمي بعد ذلك ممزقة من الاعماق .

تتنفس الآن بصعوبة .. يجري دمعها في صمت . لا تعي شيئاً من العالم .. وجودي بـــلا مبرر .. تركتها حينذاك في وحدة مطلقة ، بلا أمل ولا أحلام)).

تحبني عدوى !! هه .

كان حبها أتفه ماتوقعت . توقعت كل شيء الا ..

ان تحبني « المدينة المفتوحة »

وتحرك الشخص الثالث الغائب :

((بدأ الدود يزحف علي .. يتسلق لحمي بمخالبه المغروزة . حولي .. يئنون من الشبق .. يشربون العرق ، العرق .. انهم يقتلون الجسد . يتبلد الاحساس ، البلادة مؤقته . يهربون من انفسهم ، لا يواجهون الفراغ . ماالفائدة بعد ذلك ؟

« المقاهي » في النهار . الرؤوس مزدحمة .. الايدي تتحرك .. تقذف الورق والنرد . الدخان والسعال .. يفرزون الاموات على الرصيف . ميتون . لاشيء . الفراغ .

« الحانات » في الليل . في توابيت مغلقة . مقفلة ــ تتشابك الجدران ، وجهاً لوجه . الوحشة .. الصمت .. الهواء المميت . يشربون بلا هدف ؛ أرواحهم ميتة .. يميتون الآن الجسد ، ينطفيء بريق الحياة .. الشلل الروحي .

العرق .. لا صـــلة انسانية ، الوشائج مقطوعة .. انظر .. يضحكون ، اضحك .. اجيب على الضحك . لماذا ؟! كل شيء بيننا ميت .. صلتنا الوحيدة الرغبة في الهرب .. الرعب أمامنا : لا نجرؤ على النظر للهاوية .

« المواخير » .. في المواخير يتقابل الاموات . ميتون بلا زيف . السكارى الجائعون ، والنساء المرصوفات على الارائك ، وأعينهن الجائعة تفرز القطيع الجائع وهو يصول في شبق مجنون .

تصب المدينة في المواخير كل مافيها من حثالات .. تتلاقى افجع مآسي الموت .. جسد ميت بروح ميتة . يمضغون التفسخ . رجال بهائم ونساء كالجيف ، تتم عملية الانحلال .. تنتشر الجرائم ..

انتفاضة العروبة في العراق

بقلم
عبدالله عبد الدائم

وصف الكثيرون انتفاضة العراق بأنها مفاجأة ، ونحن لاننكر عليها هذا الوصف ان كان القصد ان لها في النفوس جمال المفاجأة وروعتها .

غير اننا ننكر هذا الوصف الانكار كلـه ان كان يعني في اذهان قائليه ان ماوقع غير منتظر الوقوع .

اما ان تكون في حوادث التاريخ مفاجآت غير بينة فهذا خلف ينكره ان للحوادث الاجتماعية منطقها وقواعدها ، وان من جادل في خضوع الحوادث الانسانية للقوانين فقد جادل في العلم والعقل .

واما ان تكون حوادث العالم العربي التي نشهدها ، والتي بدأت عداءة عارمة ، حوادث تفجأنا فهذا خلف اكبر ، نعم ان كل عمل ثوري عمل خلاق يحمل معه الدهشة والعجب . ولكن أليس من حقنا ان نقول امام هذه الاحداث الثورية العربية التي تفجأ للوهلة الاولى ماقاله الشاعر :

تعجبين من سقمي   صحتي هي العجب

والحق ان عنصر المفاجأة في الاحداث العربية الكبرى التي تطل علينا تترى ، يكمن ان اردنا الدقة ، في أنها على العكس حوادث ينتظرها الناس ولا يعرفون يوم مجيئها ، كما ينتظر الاب ابنا له لم يدر بعد ساعة عودته اليه ، وهم لذلك يستقبلونها في حرارة ولذة ، لانها آتية في نفوسهم منذ زمن بعيد ، ولان نبوءتهم فيها قد صدقت ، وهم امامها ، اشبه بمن يستمع الى ابيات مبتكرة من الشعر تزداد دهشته منها لانها تأتي وفق النغم المنشود والبحر المتوقع والقافية المنتظرة ، ولانها تحمل المعـــاني التي يستبقها السامع في ذهنه والمشاعر التي يتنبأ بها في قلبه .

والحق ان الاحداث العربية احداث محتومة ، لا لانها تجري بقدر ذاتي لايحتاج الى محرك ، ولكن لان وراءها نضال شعب بأسره في الماضي والحاضر ، ولان عودة العرب الى مستقرهم ووحدتهم هي الشيء الطبيعي الوحيد ، وهي الكلمة التي ينطق بها كل شيء في هذا العالم العربي .

ان الامة العربية ، منذ ان نالها الانفصال والتأخر على يد العنـــاصر الدخيلة واخبار الشعوبيـــة ، ومنذ ان احتل « هولاكـــو » بغـــداد عـــام ١٢٥٨ م ، تبحث عن ذاتهـــا وعن اوصالها ، تبحث عن جسدها الذي تعرفه وتنكر ما سواه ، انها منذ ذلك الحين لم تسكن لها جارحة ، ولم تلق لحظة في البحث عن رحمها الاصيل ، عن تربتها وهوائها .

وليس من قبيل الصدفة ان نرى الاحداث التي تقع في اجزائها المتناثرة احداثاً متشابهة يحكمها قدر واحد . فهذه

يفوح النتن من المستنقع الانساني .

يعودون فرادى اواخر الليل . يجرون انفسهم من الاعياء .. ولواستطاعوا لرأيتهم ممددين على الارصفة ، مخدرين لا يستطيعون الحراك ..

الخلود المؤقت في المقاهي .. بطحات العرق في الحانات .. النساء في المواخير .. رموز المدينة الميتة . لاشيء . اموات .. الموت يتغلغل .. يعم الجسد والروح . يتفسخ اللحم بالكلس .. تنتشر خلايا السرطان))

.. أفلتت عيناي الذبابة خلال فترة الصمت

كانت تتحرك على الطاولة في مجالي البصري ، لماذا ؟ أي شيء يدفعها لذلك ؟

وأكلني الحقد .

انتظرتها فترة .. حتى اذا اصبحت قريبة ، فتحت أصابعي بطريقة تعلمتها في الطفولة ، وبحركة سريعة كانت في يدي :

(تأملت بدهشة بالغة أصابعي المرنة .. كانت تتحرك في طريقها المرسوم . تمسك الفريسة بلا معرفة . ينطوي جسدي على ممكنات عجيبة)

أمسكتها بأصابعي ونتفت لها الجناحين . القيتها مشلولة على الطاولة ، كانت حريتها من الاساطير .

((المرأة أمامي . قدمها يتحرك ببطء . يلامس قدمي : يتغلغل الساق ، يشق طريقه بصعوبة .. احس طراوة اللحم . يغمرني الدفء . يتثاءب الجنس . يزأر الوحش . فخذها بين فخذي . أتابع الضغط .. تتخدر باستسلام أبدي))

رفعت لها عيني

كان ثغرها يترصدني باغراء فاضح ، وكنت ادرك مغزى هذه النظرة .

....

كنا نمضغ الصمت

محمد حيدر : من « جمعية الادباء العرب »

الاجزاء في تناد مستمر وفي حنين دائب ودوران دائم حول النواة .

ومما يدعو الى التأمل الكبير . ويحمل معه أصدق الدليل على جبرية البعث العربي ان يقارن الباحث مقارنة دقيقة بين الاحداث المتتالية التي وقعت في العالم العربي منذ الاحتلال العثماني حتى اليوم ، وان يرسم نقاط التوازي بين تواريخ هذه الاحداث واشكالها . انها حوادث متواقتة في معظم الاحيان تحمل لونا نضالياً واحدا ، بل تسير في خطوات نضالية واحدة ويرويها جميعها حنين أبدي واحد الى الاصل الى الوحدة والحرية ، ولئن حالت الحدود المصطنعة دون ان يكون النضال في هذه البلدان العربية الممزقة نضالا موحداً تاما ، فلقد استطاع هذا النضال مع ذلك أن يحقق بعض وحدته من وراء الحدود ووقع التفاعل الدائم بين احداث هذه البلدان ، رغم مافرض عليها من كيانات وما احيطت به من محاولات الابعاد .

ولايتسع المجال هنا للحديث عن هذا التوازي بين احداث البلدان العربية وعن ذلك التفاعل المتبادل بين اجوائها ونضالها وحسبنا مادمنا نتحدث عن انتفاضة العراق الكبرى، ان نذكر بطرف مما يعرفه الكثيرون عن نضال العراق القديم وعن مسير هذا النضال منذ البداية في الخط الذي سار فيه النضال العربي في سوريا ومصر واكثر البلدان العربية بعد ان تقطعت اوصالها وحرمت كبدها الاصيل .

ان كلنا يذكر كيف قاوم ابناء العراق الاستعمار العثماني في معظم مراحله ، كما قاومه ابناء مصر وسوريا وسائر البلاد العربية الخاضعة له . وكلنا يعرف كيف وقف العراق الى جانب الثورة العربية الشاملة عام ١٩١٦ كما وقف غيره من البلدان العربية . وجميعنا نعلم كيف قامت الثورة والاضطرابات ضد الاستعمار الانكليزي في العراق ، بعد أن اقتسم الحلفاء المزعومون مادعوه بتركة الرجل المريض ، وبعد ان صدق على البلدان العربية قول شوقي :

ودخلنا الوغى فكنا الغنائم

ففي الوقت الذي قامت فيه ثورة مصر على الحماية البريطانية عام ١٩١٩ وثورة سوريا المتصلة على الاحتلال الفرنسي منذ عام ١٩٢٠ ، قامت ثورة الشعب العربي في العراق على الاستعمار البريطاني منذ الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠ . وعقب ذلك في العراق ، كما عقب ذلك في مصر وسوريا وسائر البلدان المحتلة ، ثورات متصلة واضطرابات دائمة ، كانت تجري متواقتة في هذه البلدان جميعها في معظم الاحيان ، بل كثيراً ما كانت احداها صدى لما يحدث في القطر الشقيق او انتصاراً له .

وهكذا تكررت في العراق مراحل الرواية الاستعمارية التي حدثت لدى جاراتها ، وصحبتها مراحل النضال المماثلة : ثورة يعقبها تنازل من الاجنبي واستسلام مؤقت لمطالب الثورة اتفاقات ورقية بين المستعمر واهل البلاد ، معاهدات وتصحيح للمعاهدات وثورات على المعاهدات ؛ نضال عنيف في سبيل الجلاء الناجز ، حكومات خائنة اجيره وثورات على هـــذه الحكومات تطفأ مؤقتاً بابدال الوجوه القديمة بعملاء جدد ؛ مناضلون ابطال وضحايا زكية وأسماء عربية لامعة تظهر في سائر البلدان العربية وتضع لبنة الحرية .

بل نحن نستطيع ان نذهب في هذه المقارنة الى ابعد من هذا . فالعراق الذي عرف جانباً من الاستقلال في طور أبكر من بقية البلدان العربية الخاضعة للاستعمار ، والذي نعم بطلائع الجيش الوطني منذ نهاية ثورة الاستقلال (وان ظل هذا الجيش فترة من الزمن وعداً لم يتحقق ثم جسماً بلا سلاح) استطاع ان يستبق في كثير من الاحيان مراحل النضال التي تمت في البلدان العربية الشقيقة وكان رائد كثير من الاتجاهات التي ظهرت فيما بعد لدي جاراته .

وكل ماهنالك أن هذا النضال لم يؤت ثمراته كاملة الا في هذا الوقت المتأخر ، لاسباب عديدة منها المحلي ومنها العربي ومنها الدولي ، وعلى رأسها في نظرنا ان البلدان العربية لم تكن بعد في مرحلة تمكنها من ان يعزز أحدها نضال الآخر ، بل كانت على العكس في مرحلة يجعل فيها الاستعمار من أوضاع البلدان العربية المجاورة لبلد الانقلاب حرباً على ذلك الانقلاب .

وهكذا رأينا العراق تسبق جاراتها العربيات في حركات الانقلاب العسكري . ومهما يكن شأن الانقلاب الذي قام به بكر صدقي ، ومهما تكن أخطاؤه ، فقد كان بداية ذات معنى جديد . بل في وسعنا أن نقول ان فكرة الحياد، قد راودت قادة العراق منذ الحرب العالمية الثانية . فحركة رشـــيد عالي الكيلاني في أعماقها ، وفي جذورها الشعبية ، كانت في الواقع رد فعل ضد المحاولة التي قام بها الانكليز لجر العراق الى جانبهم في تلك الحرب . وكان الدافع الاول لتلك الحركة انها لم تشأ ان يلدغ العرب مرتين فيكونوا من جديد وقوداً للاستعمار الذي غدر بهم ، وكانت فكرة الوقوف على الحياد في تلك الحرب التي لاتعني العرب ، هي الفكرة المسيطرة، وهي الفكرة

التي حملت الانكليز أخيراً ومن ورائهم اللاجئون اليهم من خونة العرب - على ضرب حركة الجيش وعلى احتلال العراق من جديد . وهكذا كانت في العراق «بور سعيد» قبل معركة بور سعيد ، كانت مدينة « الفلوجة » التي صبت عليها القوى البريطانية قذائفها المدمرة في وحشية نادرة. ولكن «بورسعيد» انتصرت من بعد ، ونصرت معها قرينتها في الجهاد في كل بلد عربي .

وهل نغلو اذا قلنا بعد هذا ان اول محاولة للقضاء على احتكار السلاح ، تمت في ذلك الحين في العراق ، يوم حاول الجيش العراقي الذي أبى الانكليز تزويده بالسلاح ان يحصل على هذا السلاح من اليابان وايطاليا ، وأن يفيد من الجو العالمي ومن التوازن الدولي في سبيل المصلحة القومية؟ان مذكرات الشهيد البطل العقيد صلاح الدين الصباغ تحدثنا اروع حديث عن تلك المحاولة للخلاص من طوق الانكليز ومن وصايتهم على العتاد والعباد .

وأخيراً ، وقعت المعركة الكبرى معـــركة فلسطين ، فاستوت البلدان العربية في المشاركة في تلك المعركة ، وشارك العراق كما شارك غيره ، وشهد جيش العراق وشعب العراق من خيانات الحاكمين وألاعيب المستعمرين ماشهده جيش مصر وشعب مصر وما شهده جيش سوريا وشعب سوريا وما شهده جيش الاردن وشعب الاردن ، وغلت النفوس هناك ، كما غلت في كل مكان ، وبدأت الهزات في العراق كما بدأت في سائر البلدان العربية . وكانت النكبة بداية يقظة حية للعرب جميعاً . واخذ كل عربي يعمل ليوم الخلاص ويتوقع الخلاص في كل مكان . وكان كل عربي يؤمن ايماناً لايتزعزع بان خيانة فلسطين سوف تخلق أبطالاً وتظهر عمالقته ، وان الوليد العربي الذي أجهض في تلك المعركة سوف يتكون من جديد سليما قوي البنيان . وكان كل عربي يؤمن ان كل بلد عربي لابد ان شاهد ذلك اليوم الذي ينتقم فيه لنفسه ولعروبته . ولهذا لم يكن مفاجئاً ان تقوم الثورة في مصر ، وان يقودها ابطال مؤمنون . ولم يكن مفاجئاً ان تهتز سوريا وتتابع النضال اليومي ، وان تهتز الاردن وتغلي وتمور ، وان يضطرب لبنان ويغضي ، وان يمكث العالم العربي كله في وضع الغليان والترقب.

وقد كان ممـــا قرب الفجر العربي الكبير ان قام العمل للقومية العربية في قلب العالم العربي ، في مصر ، وان رسم قادة الثورة فيها ، وعلى رأسهم القائد العربي الاول جمال عبدالناصر ، خطوات العمل العربي الشامل . فمنذ ذلك الحين أصبح الامل في خلاص البلدان العربية المكبلة قريباً قوياً ، ومنذ ان دوى صوت العروبة الصادق في ارض الكنانة الواسعة عظم الصدى وامتد اللهيب . وهكذا انعقد النضال العريق المتصل في الاقطار العربية مع الوثبة الظافرة في مصر ، ووجد المناضلون في البلدان العربية عزيمة جديدة لمتابعة النضال ، فكانت وحـــدة مصر وسوريا ، وكانت ثورة لبنان ، وكانت انتفاضة العراق الظافرة.

ولئن كان الامل في تحرير سائر البلدان العربية املاً اكيداً دوماً ، فلقد غدا الآن ، بعد ظفر العراق ، اقرب امداً . والقوة الجديدة التي اضافتها انتفاضة العراق ، قوة لاتحتاج الى تحليل ووصف . فعودة العراق المناضل الثوري ، برجالاته الاشـــداء وروحه العنيدة وعروبته العميقة ومحبته للعقيدة والفكر ، الى مكانته في ساحة النضال العربي الشامل ، بسمة عريضة للبعث العربي الكبير .

ان حدث العراق ، ليس حدثاً عارضاً او مفاجئاً ، كما يريد ان يصفه بعض الساسة في العالم . انه في نظر ابناء الامة العربية جزء من مخاض عام ضخم ، مخاض الامة العربية التي انطلقت نحو مجدها وحضارتها . انه يجر معه آلام النضال الطويل . وحرقة الامل العربي العتيق ، وحرارة شعب ادرك رسالته وتاق الى حضارته . وهو لذلك ليس موضعاً لمناقشة الدول ومجادلة المجادلين . انه كلمة امة ، انه قولة شعب ، وصوت الشعب من صوت الله . ان الفكرة القومية يحملها شعب اصيـــل ليقدم نتاجها وعطاءها الى الانسانية ، وان الحرية ، الحرية المنجحة الحية ، ينطلق بها الشعب العربي في نضاله مع سائر شعوب العالم الحر في سبيل أقدس قيمة لدى الانسان .

طبعت في

مطبعة الجمهورية

دمشق بوابة الصالحية

بناية الحجار

هاتف : ٢٣٥٥٦

تحية حب .. لبغداد

للشاعر

نزار قباني

باسم مليون عراقي قتلته
بيديك
باسم حلف بدم الشعب كتبته
وانتهى ..
لا رحمة الله عليه .
أو عليك .
باسم رب انكليزي عبدته
وضمير ما عرفته
ورغيف من فم الشعب سرقته
باسم شعب
عربي الوجه ، للاحلاف بعته
يا حذاء الغرب ..
للشيطان بعته ..
باسم آلاف المقاصل
وضراعات الثكالى
والحوامل
باسم شعب
طيب كالطفل ، بالنار حكمته
باسم من شردته
من اصدقائي
او صلبته
في سبيل الكلمة
أبداً ، ليس تموت الكلمة
هي خبز الطيبين
وصليب المؤمنين
وضريح الظالمين
باسم بغداد الحبيبه
مرفأ الانجم .. والفيروز
شلال العذوبه
باسمها .. من كتبت
اول حرف في العروبة
باسم آلاف العباءات ..
مظلات الرطوبه ..
باسم أمي ..
باسم أختي
باسم أحزان السنين الماضيه
باسم احداق الصغار الصافيه
باسمهم يا طاغيه
أيها الجاعل من بغداد روماثانية
باسم من ماتوا على ارض العراق
من رفاقي ..
في سبيل القافية
أتكلم
صار في امكاننا ان نتكلم
يا عميل الليل ، والارهاب ،
والدم
صار في قدرتنا ان نتبسم
نحن في قصرك ..
في ساحاته
لهب غنى .. وبركان تضرم
يا حذاء الغرب ..
يا دميته ..
بيننا الف حساب .. سوف
يحسم
هذه بغداد .. يا بائعها
رجعت
اشهى من الحلم واكرم
كل جرح .. وله ميعاده
يعطش الجرح .. ولكن
ليس يفطم
ما كرهنا الظلم ..
ما ضقنا به .
يصبح الشعب الهاً
حين يظلم ..
ربنامات
قتلنا ربنا ..
ورميناه الى قعر جهنم
كان رباً تافهاً
من ورق ..
كان مسخاً ..
كان أعمى ..
كان أبكم ..
كان رباً أجنبياً
ربنا ..
كان في انكلترا ..
يسقى
ويطعم ..
كل رب . أجنبي صنعه
سوف يلقى حتفه
سوف يحطم ..

نزار قباني

الأمة كامتداد للأسرة

بقلم

زكي الأرسوزي

تقوم الامة على المودة بين الاخوان قيام الاسرة على التعاطف بين الاخوة . « ان الرحم اذا تماست تعاطفت » . وكما ان غريزة الامومة تسبق التأمل في حكمـــة وجود الحيـــاة ، فكذلك شعور الفرد بمصير امتـــه يتقدم على كل فلسفة في هذا الشأن . وها نحن نقدم هنا بعضاً من الحوادث التي تؤيد رأينا :

١ ـ قامت في الجاهلية مناظرة بين النعمان بن المنذر وبين كسرى ملك فارس ؛ فقال النعمان لكسرى : اي امة تقرنها بالعرب الا فضلتها » . قال كسرى : بماذا ؟ قال النعمان : بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وبأسها وسخائها وحكمة السنتها وشدة عقولها وانفتها ووفائها . . . واما حسن وجوهها والوانها فقد فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة والصين المخفة والترك المشوهة والروم المقشرة . . واماانسابها واحسابها فليست امة من الامم الا وقد جهلت اباءها واصولها . . بينما العرب يسمون اباءهم اباً . . فانما احاطوا بذلك احسابهم وحفظوا به انسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب الى غير نسبه ولا يدعي الى غير ابيه . . واماسخاؤها فيرضى العربي ان يخرج عن دنياه كلها في مايكسبه حسن الاحدوثة وطيب الذكر . . واما دينها وشرفها فان لهم شهراً حرماً وبلداً محرماً ، فيلقى الرجل قاتل ابيه واخيه وهو قادر على اخذ ثاره فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله باذى . . واماوفاؤها فان احدهم يلحظ اللحظة او يومىء الايماءة فهي ولس (عهد) وعقدة لايحلها الا خروج نفسه ، وان احدهم يرفع عوداً من الارض فيكون رهناً بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته ، وان احدهم ليبلغه ان رجلا استجا ربه وعسى ان يكون نائياً عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي اصابته او تفنى قبيلته لما احتقر من جواره ، وانه ليجأ اليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون انفسهم دون نفسه واموالهم دون امواله ، واما قولك ايها الملك : يئدون اولادهم ، فانما يفعله من يفعله منهم بالاناث انفة من العار وغيرة من الزواج . . واما فقدان الملك عندهم فانما بسبب انفتهم من دفع الخراج ، حتى لقد حاول كلهم ان يكونوا ملوكاً .

ولما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه مافيها سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين امرهم بعث الى اكثم بن صيفي وحاجب بن زراره ، فلما قدموا عليه قال لهم : قد عرفتم هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منها وقد سمعت كسرى مقالاً تخوفت ان يكون لها غوراً ويكون انما اظهرها لامر اراد ان يتخذ به العرب حولاً (عبيداً) كبعض طماطمته في تأديتهم الخراج كما يفعل بملوك الامم الذين حوله . . .

٢ ـ في اثناء حصار القسطنطينية نظر يزيد الى قبتين بنيت عليهما ثياب الديباج ، فاذا كانت الحملة للمسلمين ارتفع من احداهما اصوات الدفوف والمزامير ، واذا كانت الحملة للروم ارتفعت اصوات من الاخرى . فسأل يزيد عنها فقيل له هذه بنت ملك الروم وتلك بنت جبلة بن الايهم ، وكل واحدة منهما تظهر السرور بما تفعله عشيرتها . فتحمس يزيد يريد ان يقبض على ابنة ملك غسان (تاريخ العرب لفليب حتى)

٣ ـ فالقسم الوحيد من شبه جزيرة ايبيريا (الاندلس) الذي تأصلت فيه جذور الاسلام كان ذاك الذي زهت فيه الحضارة السامية القرطجنية من قبل . مثل ذلك ينطبق على صقلية ، وهي حقيقة على شيء من الاهمية ، فقد كان الخط الفاصل بين الاسلام والنصرانية بوجه عام يطابق الحدود القديمة الفاصلة بين المدينة الفينيقية والمدينة القوتية . ولم ينته القرن الثالث عشر حتى كان كثيرون من المسلمين قد انضموا تحت لواء النصرانية اماعنوة او صاحاً ، ولكنهم ظلوا متمسكين بشرائعهم ودينهم (تاريخ العرب لفليب حتى) .

والاسلام نفسه قد أقر الرابطة بين ذوي القربى « ووصينا الانسان بوالديه . . وان جاهداك ان تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً . » وليس بادل على صوت الغريزه من حنين رسول الاسلام الى قبلة اجداده العرب : « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام »

وحتى الشيوعيـــة اتخذت مبدأ المصير المشترك بين ذوي القربى . افلم تقر روسيا الكيان الطبيعي للامم التي تخضع لنظام السوفييت الاعلى .

ليست الامة امتداداً للاسرة من حيث الكيان الرحماني فحسب ، انها امتداد لها من حيث المهام ايضاً . في الامة كما

في الاسرة تشف العبارة بين الاخوان عن المعنى فتتجاوب النفوس بما يختلج فيها من مشاعر .

واذا النفوس تجاوبت فاض من تجاوبها الشعور ، وعندئذ تم ارتقاؤها على الفيض نحو اصول المكارم . وتدل كلمة « اخ » باشتقاقها من « آخ » عبارة التوجع الطبيعية، على الشعور المشترك بين الاخوان ، وعلى مايدعو اليه هذا الشعور من تعاون على رفع الحيف بعضهم عن بعض ان الاسرة ادعا لازكاء شعور الحنان عند الام ، وشعور الانصاف والعدالة عند الاب ، وشعور التعاون عند الاخوة . وكذلك الامة ادعا لشد اعضاء المجتمع ازر بعضهم بعضاً كاخوان في تراث مشترك ، من اجل تذليل الصعوبات ، ومن اجل الارتقاء الى المثل الاعلى ، وها نحن نقدم هنا بعضا من تجاربنا في هذا الشأن .

ذات يوم وانا طفل رايت زنجية . وكان المنظر مخيفا الى حداثه سبب لي الاغماء وبقيت ثلاثـــة اسابيع مريضا في حالة هذيان .

ولما كنت طالبا بباريس تعرفت على طالب صيني ، فبقيت ستة اشهر وذهني يمتنع عن حفظ اسمه . ولما سألني عن تقدير سنه فأخطأت بسبع وعشرين سنة .

هكذا كنت انفر من الزنوج والصينيين بحكم الغريزة، ولكن لما عدت من باريس الى انطاكية واخذت اناضل مع بني قومي ضد الاستعمار تفجرت في نفسي ينابيع المحبة وارتقى ذهني على الموج الى المثل الاعلى، بحيث تخطيت حدود الغريزة الى انسانية تتلألأ في عليائها تلألؤ الكواكب في مـــدارها فوق الغيم والضباب . ان سبيل المحبة لهو اقرب السبل الى الفضيلة .

هذا ، وان الشخصية الانسانية يقوم نموها على اتصال الوجدان بالمؤسسات الاجتماعية كما يقوم نمو الجسد على الغذاء المقتبس قوتاً من الطبيعة .

تقوم الهيئة الاجتماعية نحو اعضائها بامرين: تكشف بمتطلباتها عما انطوت عليه نفوسهم من امكانيات، وتوحي اليهم بمستلزماتها مثلها بذلك كمثل البيئة الطبيعية في تأثيرها على تحويل كوامن الحياة في البذور الى اشجار باسقة . واذا بدا بعض الاختلاف في النمو بين الشخصية والجسد ، هذا تم نموه انسياقا بمقتضى غرائز وميول معينـــة ، وتلك بتفسير صاحبها لرموز الجو الانساني فتحويلها الى معان ، فان الخيال وهو وسيلة استجلاء الحدس المتضمنة في العرف والمؤسسات العامة ، يتطلب انشاؤه جهداً وعناية اي انه يفتقر الى تعاون بين الفرد والجماعة .

ومن دواعي نمو الشخصية وازدهارها انسجام الميول المنطوية في بنية الفرد مع الاوضاع العامة . فاذا كان اعضاء الهيئة الاجتماعية منحدرين من ارومة مشتركة، حاملين في بنيتهم ذات امتهم كقوام شخصيتهم ، هم يصبون اليها وهي تتحقق بهم ازدهرت حياتهم بهذا التجاوب الرحماني بين قطبي شخصيتهم الصميم والمظهر (المؤسسات العامة). والا فان تنافرت مقومات شخصيتهم بالهجانة اوبتباين كيانهم مع ماهية الامة يبقون متطفلين على الجماعة ويصبحون منها كالطعم من الشجرة، يعجلون بانهيار الصرح الانساني الذي ينهلون منه الثقافة ان من ينقطع عن امته يهبط عن مستوى انسانيته فيستحيل بهـــذا الهبوط الى مسخ ذي تكوين مصطنع.

يبقى الدخيل الذي تباينت منظومة حياته مع قوام المجتمع منحجب الصميم عن دواعي الثقافة بحيث تختمـــر فيه جذور العواطف الكريمة ، فقد تبدو على سلوكه من المرونة بحيث انه يوهم الآخرين بالذكاء ، والالمعية ، ولكن ذلك ليس الا مظهراً لانعتاق الميول الدنيئة من ولاية الميول الرفيعة . وتأييداً لوجهة النظر هذه نقدم بعض الامثلة من التاريخ المعاصر :

لما كانت فرانسا والمانيا تخضعان لنظام الاقطاع كانت كل منهما تنقسم بحكم هذا الى عوام وامراء . ولكن الامراء في كل من البلدين لم يقفوا من محنة الوطن نفس الموقف. عندما احتلت جيوش فرانسا بقيادة نابوليون بونابارت برلين عقد امراء الالمان مؤتمراً لمعالجة الحالة الراهنة ولما ســـأل احد المؤتمرين مواطنيه النبلاء : كيف كان لقردة اوروبا ، وهذا هو لقب الافرنسيين عند الالمان ، ان احتلوا جرمانيا التي تمد ملوك القارة الاوروبية بالحرس ?. فأجاب على السؤال عضو آخر من المؤتمر فقال :

نحن معشر النبلاء قد ارهقنا الجمهور بقيود الاقطاع، فلم نبق لهم من الحول للاشتراك في حماية الوطن . وما ان قيل هـذا القول حتى قرر رجال الاقطاع التخلي عن ثلث املاكهم للفلاحين بلا بدل . هذا فضلا عن انهم تنازلوا عن امتيازاتهم في الاقطاع كان ذلك بغية ايصال الكادحـين الى المستوى الذي يؤهلهم للقيام بواجباتهم في الدفاع عن كرامة الامة .

واما امراء فرانسا فقد وقفوا من محنة الوطن غير ذلك. فلما عقدت الجمعية العمومية جلستها في ٤ آب سنة ١٨٩٣ اثناء الثورة الكبرى ، وكان خطر الاحتلال الاجنبي يداهم حينذاك البلاد من كل الجهات ، ناقش ممثلو فرانسا امر درء الخطر . في هذا الجو الملتهب بالحماس تمكنت بعض النفوس الكريـمة من

اذكاء الأريحية والنخوة في الآخرين وحملهم على اقرار بيع امتيازاتهم الاقطاعية للدولة ، لعل هذا الاقرار يثير حماس طبقة الفلاحين في الدفاع عن الجمهورية . ولكن النبلاء اذا اذعنوا لهذا النداء في حالة من الوجد فانهم سرعان ما اظهروا الندم على مقرراتهم . حتى انهم آثروا الالتحاق بجيوش الاعداء على التعاون مع العوام على دفع العدوان .

وكيف كان هذا التباين بالموقف ازاء محنة الوطن بين امراء كل من المانيا وفرانسا ؟ مادام الامراء في كلتي الدولتين من نفس الجنس اي من الجرمن؟

ان السبب في اختلاف الامراء في الموقف هنا وهناك يرجع الى ان الذين ظلوا في المانيا ظلوا في بيئتهم الطبيعية بين اخوانهم حيث كانت نفوسهم تتجاوب بين ذوي قرباهم تجاوبا يفيض به شعور المودة فيرتقي الجميع على موجها نحو المثل الاعلى . بينما كان الامراء في فرانسا يترعرعون في بيئة اجنبية سلبوا سكانها السلطان ومرافق الحياة، واخذوا يتطفلون على عشرائهم حتى انحسرت فيهم الميول الكريمة .

ومن قبل ، حين حاولت جان دارك النهوض ببني قومها فتشق لهم الطريق نحو حياة جديدة ، تألب الملك والامراء مع الانكليز، الذين كانوا يحتلون فرانسا اذ ذاك ، على الامة وعلى قديستها . افلم يقف هؤلاء الدخلاء من الالمان ضد احفاد الغالين سكان البلاد ؟ رغم انهم مكثوا بين ظهرانيهم عصوراً مديدة .

وفي روسيا ، الم يقف رجـال الاقطاع موقفاً معادياً من اماني الجمهور الذي تطفلوا عليه كدخلاء ؟ حتى لقوا مصيرهم المحتوم . في حين كان امراء اليابان يقفون من ابناء جلدتهم ، الطبقة الكادحة ، الموقف الذي كانت تقتضيه المصلحة العامة .

ونحن ايضاً قد عانينا ونعاني اليوم تجربة مماثلة . كان وجهاء البلاد يزحفون الى دوائر المستشارين في عهد الانتداب . كانوا يتسابقون في اعلان الولاء للاجنبي المحتل ويشتركون معه في المكيدة على الجمهور الذي منه يستمدون قوت الحياة . ولكن هل خفي على المعتدي الغاصب نذالة اعوانه ؟ الم تدرأ فرنسا عنها حقارة اعمال مستشاريها باتخاذها من الخونة اقنعة لسياستها في ارهاق البلاد ؟ ان دولة الانتداب اذ كانت تستنفد ثروة البلاد كانت تجعل المتزعمين مطية لكل منزلة، واذ كانت تمدهم ببعض المرافق كانت تجعلهم كالاشجار التي اجتثت جذورها فلم يبق لهـا من وسيلة ، للمحافظة على بعض الرمق ، الا الرطوبة التي تتلقاها عن طريق الورق . بل كانت تجعل مثلهم كمثل كلاب الصيد التي تلحس دمها المتفجر من قوائمها واهمة هي انها تقتات من الفريسة اذ ذاك كانت الاسر الدخيلة علينا تتظاهر بالانقسام في الرأي فيما بينها :

كان فريق يتحدى شعور الجمهور بموالاته للاجنبي مستنداً الى حرابه في التحدي ، وكان فريق آخر يتقنع بالوطنية فيثير ضجة مصطنعة يلهي بها الجمهور عن رؤية المشاكل العامة . هكـذا كانت ولم تزل المعارضة وسيلة لوقاية السياسة الاجنبية .

وكيف كان احفاد العثمانيين يسلكون هـذا المسلك من الانتداب بينما كان ابناء عمومتهم الذين هم في الاناضول يبذلون دماءهم في الذود عن حياض الوطن اثناء حربهم ضد اليونان ؟ ان الاسباب متماثلة هنا وهناك . وقد عبر المتنبي شاعر العرب عن هذه الفكرة اذ قال :

انما الناس بالملوك ولا   تفلح عرب ملوكها عجم

فرحة الحرّية

شعر

احمد سليمان الاحمد

لمن المواكب في مدى العلياء !
الزهو زهوي واللواء لوائي !
بغـــداد إنا توأما حرية
رضعا لبان الثورة العذراء
بغداد ماامتلأ الصباح ولا ارتوى
بأعز وهجاً من جراح فدائي !
مرت بشاحبة الدروب مشاعل
يفتحن باب الليـل بالاضواء
زحفت على درب الحياة طلائع
الشمس ملء نشيدها الوضّاء
فتحت على النصر العيون وايقظت
قيـــثارة ذهبية الاصداء
تعلو الاغاني من شفاه جراحنا
اقوى من الاقدار والارزاء
المجد للكلمات ، من دمها ارتوت
اغنية الحـــرية الحمراء !

* *

ان كنت أغفر للطغاة ولوغهم
بدمي ، وحزّ الناب في أشلائي
هيهات أغفر أنهم قد طوقوا
وطني بأحلاف لهم نكراء
باعوا دم الشهداء أرخص سلعة
تشرى بسوق خيانة شوهاء
لو يشرف الشهداء من حرم العلى
فيروا نهاية طغمة الأجراء
ويروا بأن الشعب يدرك ثأره
متوشحـاً بعقيدة عصـماء
تختال في ليل السجون حمامة
وتشع مثـل النجمة الزهراء
وتضيء في بحر الشجون لآلئاً
ولأجلها يجري دم الشهداء !
ينهار تحت شموسنا وشموخنا
جبـل الجليد وقلعة استخذاء
الشعب بنّاء الحياة عزيزة
هدّام كل معاقـل العملاء

* *

أنا لي على جنبات دجلة موعد
لبس الزهور الى احب لقاء
دربي اليـــه بالسنى مفروشة
مطلولة بالعطر والانداء
وهوىً يصوّر زورقين تدافعا
متعانقين على ذراع المـــاء
وتهيم مثل قوارب في دجلة
شقر النجوم على ضفاف مساء
نجوى فلا لون العذاب بجفنها
يهمي ، ولا في الهمس طعم بكاء
نجوى فلا صخب القيود بمسمعي
كلا ، ولا شبح السجون ازائي !

* *

واذا التفت فلوحة مصبوغة
بيد التجرد لا بيـد الاهواء
ملء الحياة تمـرداً وتجدداً
فتفتحي ياوردة الصحراء !
الموت للمستعمرين ومن مشى
في ركبهم علناً وطيّ خفاء
للخائنين بكل أرض ، دنّسوا
طهر الثرى الوطني بالدخلاء

للاعبين على الحبال ، وظنهم
ان ليس تكشف خدعة البلهاء !
لمذبذبين مزوّرين عقائـــداً
خلعوا جلودهم على الحرباء !
وطني الذي مازال يطرد فجره
ظـــل الدجى براوح بيضاء
سيرى الضيـاء هديرنا متدفقاً
ابداً يصك مسامع الاعـداء
ويل الجبان ! اذا يرى اينابهم
في أضلـــع الحرية العزلاء
يلوي العنان ولا يحس شجاعة
ليشد فوق دمائها بدماء !
المجد للاحرار ، إيّ نداء !
عنوان ملحمة ولحن اباء !
المجد للعمال ، ملء مصانع
تبـــني سعادة شعبنا البنّاء
المجد للفـلاح يطربه صدى
نبضات قلب التربة المعطاء
المجد للطلاب ، أيّ رجاء
في اعين المستقبل اللألاء !
المجد للجندي يحرس شعـلة
التاريخ عند حدودنا الشماء
المجد للشعراء ، كل قصيدة
تطـأ العدى بكتيبة عرباء
آمنت بالزحف المقدس، ما اشتهت
الا جحافله ذرى الجوزاء !
في ميسلون وبور سعيد تعانقت
راياتنا ، واليوم في الزوراء
وغداً بلبنان وعمّان ومن
شط الخليج الى المحيط النائي .

دمشق ١٩ – ٧ – ١٩٥٨

احمد سليمان الاحمد

الثقافة

مجلة ثقافية ادبية شهرية

دمشق ص . ب (٢٥٧٠) هاتف ١٦٢٩١

تصدر في دمشق

١ ــ الاشتراك في الاقليم الشمالي ١٥ ليرة سورية

٢ ــ الاشتراك في الاقليم الجنوبي والاقطار العربية جنيهان او ما يعادلهما .

٣ ــ جميع المراسلات الادبية والمالية باسم صاحب المجلة ورئيس تحريرها :

مدحة عكاش

٤ ــ تحتفظ الادارة باعداد محدودة من العددين الاول والثاني ترسل لطالبيها .

• تصدر في أول كل شهر

قصة الثورة العربية في الجزائر

بقلم

عثمان سعدي

٢

ان ثورة اول نوفمبر (تشرين الثاني) ليست من خلق زعماء الاحزاب السياسية الجزائرية الرسمية وانما هي ثورة قامت على سواعد الفلاحين وتحت قيادة الشباب الثوري الذي انفصل ايديولوجياً عن الاحزاب البورجوازية وحافظ على الاتجاه الثوري للطبقات الكادحة، واغلب هؤلاء الشبان فلاحون انحدروا من القرية واكتسبوا شيئاً بسيطا من الثقافة يصل اقصاه الى درجة المتوسطة، او نوعا من التجارب واتساع الافق اكتسبوها من مشاركتهم في الحرب العالمية الثانية داخل اطار الجيش الفرنسي.

لقد بدأ هؤلاء الشبان نشاطهم الثوري في المدن فأسسوا الخلايا على طريقة الزعيم الايرلندي (ديفاليرا) الا انهم يئسوا – بعد محاولات – من المدن ولجأوا الى القرى حيث يوجد الفلاحون حيث القاعدة الشعبية حيث الطبقات الكادحة للمجتمع العربي بالجزائر.

ان ثورة الجزائر العربية اعدت في الجبال على سواعد الفلاحين ثم نزلت لتفرض مبادئها على المدن ولتملي على الزعماء السياسيين اللاثوريين شروطها لقد نزل الفلاح تحت قيادة الطليعة الثورية من قمم الجبال بهراوته ليسطر الطريق الثوري للنخبة المثقفة، ولابناء الطبقة المتوسطة ثم ليسوقهم امامه ضمن قافلة الثورة.

الاعداد للثورة

كان عدد اعضاء (الهيأة الخاصة) – الجناح الثوري لحزب الشعب – اثني عشر يعطون منذ امد بعيد على خلق نواة لجيش التحرير واجتمع هؤلاء في مكان ما بالجزائر واسسوا (اللجنة الثورية) للاتحاد والعمل ثم راحوا يتصلون بكل العناصر الثورية واجتمعت هذه (اللجنة) بجنيف ١٩٥٣ وحددت اهداف الثورة ومراحلها وكان رأي رجالها ضم كل اتجاهات الرأي العام الجزائري الى جبهتهم الثورية فانفصلوا بكل الاحزاب السياسية ولكن زعماء هذه الاحزاب قابلوهم بالريبة والتحفظ الشديدين وعندما يئست اللجنة من الاحزاب صممت على الشروع في العمل بمفردها ووقع الاتفاق على اختيار ثورة نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٤ يوما لاشعال الثورة وتألفت جبهة التحرير الوطني الجزائرية مساء يوم ٣١ اكتوبر ١٩٥٤ ثم وجهت نداءها المشهور الى الشعب موضحة فيه اهداف الثورة وهذا نصه «الى الشعب الجزائري والى المناضلين الواعين الملتفة حولهم اغلبية العناصر التي لازالت نظيفة ومخلصة، رأى هذا الفريق ان الوقت قد حان لاخراج الحركة الوطنية من الدوامة التي اقضها فيها صراع الزعامة وانانيتها ومنعها من ان تقوم بالنضال الثوري الحقيقي، الى جانب الاخوان التونسيين والمراكشيين».

وبعد ان يوضح البيان اهداف الثورة ووسائل الكفاح يشير الى النقط التي تصلح اساسا للمفاوضات مع فرنسا وتونس «وحتى نتحاشى كل تزييف ومراوغة، وتعبر عن رغبتنا في السلام والاقلال من الخسائر في الارواح – حقنا للدماء – فاننا نتقدم بمنهاج سياسي مشرق تقع على اساسه المفاوضات مع السلطات الفرنسية ويعتمد على (الاعتراف بحق الشعب – الجزائري – في تقرير مصيره) وهذا المنهاج السياسي.

١ – الاعتراف بالشخصية الجزائرية

٢ – البدء في مفاوضات مع الذين يمنحهم الشعب الجزائري ثقته على اساس الاعتراف بالحكم الجزائري الغير المجزىء.

٣ – خلق جو من الثقة باطلاق سراح كل المساجين السياسيين واعادة المنفيين الى البلاد وايقاف كل الاجراءات التي تلاحق القوات المحاربة.

وفي مقابل ذلك.

١ – حماية المصالح الثقافية والاقتصادية الفرنسية التي تكونت عن طرق شريفة.

٢ – كل الفرنسيين الراغبين في البقاء بالجزائر يخيرون بين قوميتهم الاصلية – وفي هذه الحالة يعتبرون اجانب امام القانون او بين الدخول في الجنسية الجزائرية، وفي هذه الحالة يعتبرون كمواطنين لهم حقوق المواطن وعليهم واجباته.

٣ – تكون العلاقات بين الجزائر وفرنسا محددة باتفاق بين السلطتين يتخذ المساواة والاحترام المتبادلين اساسا له.

معاقل الثورة الاولى

سجل جيش التحرير الفني وجوده على ارض الجزائر في بداية

الثورة بثلاثة الاف (٣٠٠٠) مناضل مسلحين باسلحة بسيطة وعتيقة وبعد هجومه الاول في صبيحة اول نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٤ سحب قواته الى المناطق الوعرة كبلاد النحاشة وجبال جرجره وجبال شمال قسطنطينة. ثم بدأ في تطبيق خطة عسكرية تطويقية ان معاقل الثورة الاولى التي يقع اهمها في اوراس هي الاماكن الحصينة للثورة الجزائرية .

وبالرغم من كمائن جيش التحرير الموفقة فقد استهان المستعمرون بالثورة وعملوا على اقناع انفسهم (بان هؤلاء العراة الحفاة ذوي الاسلحة العتيقة ، يمكن ان يقوموا بانفاضه عنيفة ، ولكن لايمكن ان يستمروا في القيام بحرب طويلة الامد وسوف يقضي عليهم الجيش الفرنسي)

واكتفى المستعمرون بتطويق المناطق التي يرابط فيها جيش التحرير وتضييق الخناق عليها ومحاولة تجميد فرق التحرير بترحيل السكان المدنيين ـ المصدر الغذائي الوحيد لجيش التحرير ـ حتى يباد الثوار بسلاحي الجوع والتشريد.

واقنع المستعمرون انفسهم بتعاون السكان الجزائريين معهم وعينوا الجنرال (بارلانج) قائدا للقوات الفرنسية المرابطة واسسوا اقسام (الادارة الخاصة) تحت تسيير ضباط استقدموا من مراكش يقال انهم متخصصون في الشؤون الاهلية ، واتبع هؤلاء الضباط طرقا عتيقة ـ مضى وقتها ـ في خلق جو من الثقة بين الجيش الفرنسي والسكان المدنيين (الذين لوثتهم دعاية الغلاقة) حسب التعبير الفرنسي .

ان الفرنسيين لم يدركوا بعد انهم امام ثورة ضربت جذورها عميقة في قلب الجماهير ، وكانت نتيجة المجهودات الفرنسية الفشل وهكذا تخلف المستعمرون مرة اخرى عن ملاحقة القافلة .

تطهير الجبهة الداخلية

لايخلو بلد من البلدان من وجود الاقلية السائرة في ركاب المستعمرين المذبذبة ، والاغلبية المتجاوبة مع الاعمال الوطنية وقد وجدت الجزائر العربية ـ عند بزوغ فجر ثورتها ـ نوعاً من الانتهازيين دفعهم اليأس عن استقلال الجزائر والايمان بخلود الوجود الفرنسي على ارضها ، الى السير في ركاب المستعمرين .

الا ان جيش الثورة استفاد بتجارب الثورات السابقة وقرر تطهير الصفوف من هذه العناصر قبل الاتجاه كلية الى العدو ولم يرحم جيش الثورة الخونة فقتل منهم مايزيد على المائتين في الستة اشهر الاولى ولم يكتف رجال الثورة بالقضاء على الخونة المتعاونين مع الفرنسيين فقط بل وجهوا ضرباتهم القاتلة الى كل انفصالي تساوره انانيته ، ويساوره مرض الزعامة الى صعود الكراسي فقضوا على انصار الزعيم السابق مصالي الحاج الذي رفض الدخول في اطار جبهة التحرير واختار العمل بمفرده وباسم زعامته .

وقصة مصالي الحاج قصة مفهوم الزعامة عند ساسة العرب عامة والمغرب خاصة التقليديين فقد عرض شباب الطليعة الثورية على مصالي ، كما عرض على كل الزعماء الآخرين الدخول في اطار الجبهة المسيرة للثورة ، وقبل مصالي العرض ولكن قبوله جاء مقرونا بشرط وهو ان تنسب قيادة الثورة اليه . ولكن حكمة شباب الطليعة الثورية وكفرهم بالزعامة النرجسية ، جعلهم يرفضون هذا الشرط لقد رفضوه لانهم يريدون ان يقوموا بثورة تتكتل فيها كل الطاقات الشعبية ، وتسد في وجه العدو ـ كل الثغرات الخطيرة على حياة الثورات ، وهذا لايكون الا باسناد قيادة الثورة الى جبهة وطنية متحدة تشارك فيها كل الاحزاب والمنظمات وكل الافراد المستقلين حتى اولئك الذين كانوا يتعاملون تعاملا صريحا مع الاستعمار قبل الثورة قبل انضمامهم للجبهة واعلن شباب الطليعة عبارتهم الخالدة على الرأي العام الجزائري (ان اول نوفمبر يعتبر تاريخ ميلاد كل جزائري ولهذا فان الجبهة لاتعامل الاشخاص او الهيآت بماضيهم ، اي لاتعطي اعتبارا لما قبل بداية الثورة وانما يعامل كل الناس بما ستقدمه ايديهم اثناء الثورة) .

ونجحت هذه الطريقة فلم تكد تمضي سنة على الثورة ، حتى طهرت الجبهة الداخلية وانضم كل الزعماء والشخصيات المستقلة الى الجبهة ، حتى اولئك الاصدقاء الحميمين لفرنسا ، وهكذا استطاعت الثورة بفضل حكمة رجالها ان تسد كل المنافذ امام الاستعمار الذي عجز عن ايجاد ابن عرفه او باوداي في الجزائر .

مقاطعة كل ماهو فرنسي

لم يحدثنا التاريخ عن وجود ثورات تحريرية تملك الدقة في العمل والتكامل بين شتى الظواهر والنضوج الثوري كما هو الحال بالنسبة للثورة العربية بالجزائر . والسبب في ذلك راجع الى عمق التفكير الثوري عند رجالها واستفادتهم بتجاوب الثورات التحريرية والاجتماعية السابقة . وحكمة رجال ثورتنا هذه هي التي جعلتهم ينظرون للثورة على انها مجموعة من الوسائل المتكاملة المتعاونة على تحطيم الكيان الاستعماري .

وهكذا لم تحارب الثورة العربية بالجزائر الاستعمار الفرنسي

بالبندقية فقط بل حاربته بعدة اسلحة كتطهير الجبهة الداخلية والقضاء على الانتهازية والانانية والزعامة النرجسية ، والمقاطعة التامة للبضائع والاداوات الفرنسية .

ولعل اهم سلاح من هذه الاسلحة كلها يأتي بعد البندقية وتطهير الجبهة الداخلية ـ هو سلاح المقاطعة .

امرت جبهة التحرير في خلال السنة الاولى للثورة كل من عرب الجزائر بمقاطعة كل موارد الضرائب غير المباشرة التي تؤلف القاعدة الاساسية لموارد الدولة الفرنسية ، كالتبغ والخمر والكباريهات والمقاصف ودور السينما والمسارح ودور الاوبرا الخ ، وبررت الجبهة هذه المقاطعة بقولها (ايها الجزائري ان كل سيجارة تبغ تدخنها او جرعة خمر تتناولها عبارة عن رصاصة توجه الى صدرك في يوم من الايام ،ووضحت الجبهة الرأي العام بان هذه المقاطعة عبارة عن مساهمة الشعب الفعالة في المعركة وتجاوبه مع ابنائه فقد جاء في منشورات الجبهة مايلي .(عندما يمتنع الجزائريون عن تعاطي الخمر والتبغ يعبرون بذلك عن استجابتهم الجماعية للكفاح الثوري الذي يقوم به جيشنا العظيم) .

النشاط العسكري للثورة :

زادت قوة جيش التحرير الوطني خلال السنة الاولى بفضل احرازه على كميات كبيرة من الاسلحة من العدو ، وبفضل اكتسابه للخبرة العسكرية المتلائمة مع طبيعة البلاد ، ومع نفسية الفرد العربي بالجزائر ، وهذه الخبرة وتلك الاسلحة جعلته يقوم بمعارك هائلة ، ويكبد الجيش الفرنسي المسلح ـ بأسلحة الحلف الاطلنطي ـ خسائر فادحة خلال صيف ١٩٥٥ م ، ومن هذه المعارك الخالدة في تاريخ جيش التحرير : ـ

ـ معركة دجمين التي كلفت العدو ٩٥ قتيلا و ٦٥ جريحا

ـ معركة زولاتو التي كلفته ٥٠ قتيـــلا وعدداً كبيراً من الجرحى

ـ معركة الجرف الاولى العظيمة التي ترك الجيش الفرنسي في ميدانها اكثر من ٤٠٠ جثة فرنسية وحطام ٨ طائرات و ٣ مصفحات ، وكمية هائلة من الاسلحة والذخيرة سيطر عليها كلها الاحرار .

وهذه المعارك مضاف اليها معارك اخرى دارت رحاها كلها في مختلف اجزاء البلاد سمحت لجيش التحرير باصدار بلاغ عن نتائج تسعة اشهر من الكفاح في آب ١٩٥٥

اما رد الفعل الذي قام به الاستعمار ازاء هذه الانتصارات الثورية الهائلة ، فهو اعتناقه لقاعدة (ابادة المدنيين العزل) وجعله من هذه القاعدة منهاجا لحربه في الجزائر . ففي ٢٠ آب ١٩٥٥ قامت قوات الاستعمار بحملة ارهابية ، في عدد كبير من المدن الجزائرية ، وركزت ضرباتها على المدينة المناضلة سكيكدة عاصمة ولاية البطل الخالد (يوسف زيغود) وقضت على اكثر من خمسة عشر الف عربي مدني . وتستطيعون ادراك فظاعة هذه المذبحة عندما تدركون ، ان الاطفال الذين شردوا في الجبال المجاورة لهذه المدينة فراراً من جحيم قنابل الطيران الفرنسي ، واستطاعت الاقدار ان تحفظهم من انياب الذئاب ، زاد عددهم على المائه .

والحملة التي قام بها جيش التحرير في ٢٠ آب (اغسطس) ١٩٥٥ ، جاءت بمناسبة ذكرى عزل سلطان مراكش عن عرشه لقد اعلن اثناءها (جيش تحرير المغرب العربي في الجزائر) عن ايمانه العميق بتوحيد القيادة بين الثورات الثلاثة في المغرب العربي ، والتزامه لمتطلباتها في الميدان العملي الايجابي ، وقد جازى هذا السلطان الجزائر عن تضحياتها بعد بضعة اشهر من هذه المذبحة بأن طعن هـــو وبورقيبة نضال عرب المغرب في الخلف ..

وادت هذه السياسة الاستعمارية الجديدة الى عكس ما كان ينتظر منها ، فبدل ان ترهب الشعب ، وتخمد معنوياته زادت من تصميمه على مواصلة النضال الى ان يتحقق استقلال البلاد .

ولم يصبح انضمام الفلاح والعامل لجيش التحرير ـ امام هذه السياسة الاستعمارية ـ واجبا فقط ، بل صار افضل طريق لانقاذ حياته وقيمته من العربدة الفرنسية .

وهكذا خدم الفرنسيون الثورة العربية بالجزائر من حيث لا يشعرون .

وفي السنة الثانية للثورة رفعت الحكومة الفرنسية الحرب الى مستوى عال ، فعملت على سحب فيالق بأكملها من الحلف الاطلسي ، وكونت فرقا اخرى من جنود الاحتياط وارسلتها كلها الى ميدان الجزائر .

وطبقت قيادة الجيش الفرنسي طريقة التربيعة في عملياتها العسكرية ، وطريقة التربيعة هذه هي ان ترسم القيادة الفرنسية مربعاً على الخريطة الجزائرية ، ثم توجه اليها قوات ضخمة برية وجوية وبحرية ـ ان كان هذا المربع على الساحل ـ وتدكه بما فيه من حيوانات وبشرونيات . وكم من قيصرية ذهبت ضحية هذه الطريقة .

الا ان جيش التحرير ، بفضل الخبرة التي اكتسبها من تجارب سنة ، وبفضل زيادة مساندة الشعب له وبفضل عبقرية الفلاح العربي العسكرية بالجزائر جمد هذه الطريقة الجديدة . واصبحت المعارك التي تدور على ارض الجزائر عمليات انتحارية بالنسبة للعدو فزمام المبادرة في يد جيش التحرير ، والمعركة يتحكم فيها جيش التحرير ، الذي يختار لها المكان والوقت والظروف الملائمة ، وقد شاهدت بداية سنة ١٩٥٦ معارك خالدة منها ـ معركة (رواده) التي كلفت العدو ١٨٠ قتيلا من بينهم ٤ ضباط ـ ومعركة تلاغمه التي كلفت ٣٨ قتيلا وتحطيم ٧ سيارات نقل ـ ومعركة بني عمران (بالبسترو) التي خسر خلالها العدو ٢٣ قتيلا واسيرين وكمية هائلة من الذخيرة والعتاد الحربي .

وتتطور خطط ونظم جيش التحرير في كل لحظة مع الاحداث والظروف الجديدة : فما ان حلت سنة ١٩٥٦ حتى لاءم بين نظمه وبين الظروف الجديدة كازدياد عدد المتطوعين والمتمردين على الجيش الفرنسي ، وكمية الاسلحة مما جعله يصوغ قوانينه الجديدة في عشرة بنود : ـ

١ ـ الاستمرار في الكفاح الى ان يتحقق استقلال البلاد

٢ ـ الاستمرار في تحطيم قوات العدو والاستيلاء على اقصى ما يمكن الاستيلاء عليه من عتاده

٣ ـ الارتفاع بمستوى معنويات جنود جيش التحرير

٤ ـ العمل باقصى ما يمكن من سرعة في الحركة : تجمع فتفرق وهجوم بتركيز

٥ ـ تمتين الصلة بين مراكز القيادة وبين مختلف الوحدات

٦ ـ تحسين قلم المخابرات التابع للثورة بين السكان وفي صميم قوات العدو

٧ ـ تحسين جهاز الدعاية التابع لجبهة التحرير بين صفوف الشعب حتى يصبح هذا الاخير ركيزة قوية وثابتة ومضمونة الى جانب الثورة .

٨ ـ تقوية معاني الطاعة بين صفوف جيش التحرير

٩ ـ بث معاني الاخوة والتضحية والتنظيم بين المدنيين

١٠ ـ تحطيم قوات العدو تحطيماً يتمشى مع تعاليم الاسلام والقوانين الدولية .

لقد درد جيش التحرير على خطتي التربيعة بخطتي التفرق والتجمع السريعتين .

وازداد العدو حيرة واضطرابا عندما رأى تحركات جيش التحرير تشمل مناطق كانت تعتبر ـ حتى ذلك الوقت ، مناطق صعبة وخطيرة بالنسبة لجيش التحرير . فقد بدأت وحدات من جيش التحرير تنزل الى السهول التي تبعد كثيرا عن معاقلها لتركز ضرباتها على منشآت الكولون .

الا ان السمة التي امتازت بها هذه الفترة من تاريخ الثورة (بداية ١٩٥٦) هي فشل العدو التام في استغلال عرب الجزائر الموجودين بالجيش الفرنسي ضد اخوانهم في جيش التحرير وبفشل هذا الاستغلال سقطت تلك القاعدة الفرنسية التقليدية ـ لاول مرة ـ الا وهي (دفاع فرنسا الاستعمارية عن مصالحها ضد سكان مستعمراتها بسكان آخرين من نفس المستعمرات) .

واصبح جيش التحرير يستقبل في كل يوم جماعات الجنود المتمردين على الجيش الفرنسي من جزائريين واجانب حاملين معهم اسلحتهم وعتادهم الحربي . وصار جيش التحرير يستعين بخبرات ضباط كبار وضباط صف وجنود محترفين واحتياطيين.

والمعاملة الانسانية التي يعامل بها جيش التحرير هؤلاء المتمردين هي ، التي جعلت كل جنـــدي في الفرقة الاجنبية الفرنسية ينظر الى جيش التحرير ، نظرته الى قوة جبارة قادرة على تحريره من نير الارهاب الذي يحياه بين صفوف الجيش الفرنسي ، فالايطالي او الالماني الموجود بالفرقه الاجنبية يتهدده الموت في كل لحظة ، فالقوانين الاستثنائية تخول للضباط الفرنسيين قتل اي جندي من هذه الفرقة دون ان يحاكم او يسأل لماذا وكيف قام بهذا العمل :

ويخير جيش التحرير هؤلاء الاجانب بين البقاء في صفوفه او بين الذهاب الى بلدانهم ، بوسائل وامكانيات الثورة . وهكذا تملى على الجيش الفتي عروبته السامية مبادىء انسانيه لا يستفيد منها العربي فقط بل تشمل فائدتها كل الاجناس فكم من جندي الماني سفر الى بلاده على حساب الثورة . وكم من جندي ايطالي حركت ، غيرة المعاملة الانسانية فامتنع عن الذهاب الى بلاده وبقي يناضل الاستعمار مختارا ـ في صفوف جيش التحرير . رابطا مستقبله مع مستقبل هذا الشعب العربي الذي آواه واكرمه ورد اليه كرامته الانسانية حتى الجندي الفرنسي صار يترك جيش بلاده وينضم الى جيش التحرير بفضل تسامح جيشنا العربي .

الحركة الفدائية

ان الاماكن التي يتكاثف فيها عدد الفرنسيين ، ويكثر

فيها الكولون ، هي المدن وهذا هو الذي حدا بقيادة الثوره الى انشاء منظمة الفدائيين بالمدن .

ومهمة الفدائي الرئيسية مهمة سيكولوجيه، تركزضرباتها على اصحاب المصالح الكبيره من الفرنسيين واليهود ، الذين يمولون ويشجعون الحرب الفرنسيه القذره بالجزائر ، وتجعل من حياتهم جحيما دائما .

فالفدائي هو الذي يتعقب الخونه والرأسماليين الذين رفضوا دفع ضريبة الثورة . وهو الذي يتعقب افراد المنظمة الفرنسيه الارهابيه (اليد الحمراء) بل ان الفدائي العربي بالجزائر اتسع نطاق عمله حتى اصبح يشمل مهاجمة الثكنات ومراكز البوليس في وضح النهار .

وادى نشاط الفدائيين الى نتيجة مزدوجه . اولا جعل عرب الجزائر الساكنين للمدن يعيشون التجربه التاريخيه لبلادهم ويشاهدون كيف يشاد مستقبلهم بواسطة سواعد ابنائهم الابطال فترتفع معنوياتهم ويثبت ايمانهم . ثانيا عرض مناظر من قصة البطوله العربيه بالجزائر امام المدنيين الاوروبيين البعيدين عن ميدان المعارك فتتسرب البلبله الى نفوسهم ويعيشون الخطر الذي يتهدد كل شخص يسيء الى هذا الشعب الكريم .

وهكذا يلعب الفدائيون دورا مكملا لاعمال فرق جيش التحرير ،ان عـــدم مبالاتهم بالخطر وروح التضحيه الكامنه باعماقهم ، اصبحا يؤلفان قصة بطوليه رائعه . لقدقام الفدائيون بأدوارهم كامله في المناطق التي احتيج اليهم فيها .

انتصارات الثورة في الميدان السياسي

ان سر عظمة الثورة العربية بالجزائر يكمن في التفات رجالها الى كل الميادين ، وسد كل المنافذ التي يمكن ان يتسرب منها التخريب الاستعماري المباشر وغير المباشر .

وتوجد الى جانب جيش التحرير - المنظمة العسكرية للثورة - منظمة اخرى سياسيه تدعى جبهة التحرير وقد قامت الجبهة خلال السنة الثانيه باعمال عظيمه فركزت مجهوداتها على تنظيم سكان المدن وتدريبهم على الاعمال الثوريه ، وجعل كل عربي بالجزائر - رجلا كان او امرأة - يقوم بدوره في اطار الثوره العام .

فالجبهه هي التي تمد فرق جيش التحرير بالمرشدين السياسيين الذين يسهلون العمل لضباطه العسكريين كتوعية سكان القرى وتوجيه جنود الجيش وافهام افراد الشعب مبادىء الثوره العربية الانسانيه في الجزائر باسلوب مبسط ومركز .

والجبهه هي التي طلبت من الشعب في المدن والقرى مقاطعه الادارات الفرنسية وعدم التعامل معها ،وامرت اعضاء المجالس البلدية والنيابيه ، ومجالس القرى والموظفين ، والعمـــد بان يستقيلوا من مناصبهم .

ولم تقتصر الجهة على الامر بالمقاطعه فقط ، بل كونت ادارات ومحاكم ومجالس سرية شعبية تسير شؤون المدنيين ، فكان اهل الحي او القرية هم الذين ينتخبون هذه المجالس التشريعيه تحت اشراف مندوب الجبهة ، وهذه المجالس هي التي تجمع الاعانات للثورة وتنظم عملية استقصاء اخبار العـــدو وتحل المنازعات وهكذا اصبح الشعب العربي بالجزائر في عهد الثوره محكوما بواسطة رجال ينتخبهم ويحترمهم ويحبهم .

وامتدت يد الجبهة الى تنظيم العمال والتجار والطلبة ، ففي يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٦ تألف (الاتحاد العام للعمال الجزائريين) بعد اجتماع مؤتمر تأسيسي بمدينة الجزائر وبفضل ديناميه الطبقة العاملة تأسست هذه المنطقة كتعبير عن رد فعل شريف قام به العمال ضد الاثر المسيء السلبي الذي تركته الاتحادات العمالية) السابقة في الوسط العمالي الجزائري .

لقد كانت النقابات السابقة توجه نضال العمال توجيها سطحيا فرديا ، يستهدف مطالب العـــمال المعيشية كالمطالبة برفع الاجور وتأمين حياة العامل ، اما الاتحاد العام الجديد - ابن الثورة - فقد وجه الطبقة العاملة توجيها وطنيا عقائديا ينظر الى رفع مستوى العامل بالجزائر نظرته الى فرع لمشكلة جذرية يجب بترها من الاعماق ، وهذه المشكلة هي الاستعمار .

وهكذا يربط العامل العربي بالجزائر مصيره بمصير شعبه ويناضل من اجل تحرير الشعب الذي تؤلف طبقته جزءا منه ، ومن اجل تحقيق العدالة الاجتماعية لكل افراده .

واسست الجبهـــة في سنة ١٩٥٦ (الاتحاد العام للتجار الجزائريين) ليقف في وجه منظمة (جماعة التجار) التي يسيطر عليها المستعمرون . ويجمع هذا الاتحاد بين التجار واصحاب الحرف ، وفسحت الجبهة المجال امامه فخلقت له الجو السياسي المناسب وعلمته كيف يناضل ضد الضرائب ويقوم بمقاطعة تجار الجملة) المستعمرين الذين يؤازرون الحرب (الامبريالية)

اما نضال الطالب الجزائري فهو ليس حديثا على الميدان

النضالي والطالب الجزائري يشعر ان المسؤولية الكبرى تقع عليه لانه يمثل نخبة الشعب ومستقبل البلاد .

وفي ٢٥ مايو ١٩٥٦ اصدر (الاتحاد العام للطلبة الجزائرين منشورا حلل فيه الوضع الثوري وعكس احساس الطلبة وهذا بعض ماجاء في المنشور .

ان واجبنا ينادينا الى مشاركة اولئك الذين يقومون بالكفاح من اجـــل تحرير جزائرنا : مشاركتهم في الالام والمشاق التي يتعرضون اليها . يجب على كل طالب ان يقاطع مدرجات الجامعة وفصول المدارس ، وينضم الى معاقل الثورة. يجب علينا ان نلتحق بفرق جيش التحرير وبمنظماته السياسية (جبهة التحرير)

والتحق الكثير من الطلبة بصفوف جيش التحرير الذي وجههم حسب الطرق العقائدية وحدد لهم المسؤوليات والميادين التي يصلحون لها ، فطلبة الطب كلفوا بتنظيم الهيئات الصحية التي كانت الثورة في حاجة اليها . واعد طلبة الحقوق للقيام باعمال المرشدين السياسيين . وهكذا وضعت الثورة كل طالب في المكان الذي يتناسب مع ميوله وكفاءاته .

والتحاق المثقفين والطلبة بالثورة قدم برهانا ملموسا على ان تكوين عربي الجزائر المثقف في الجامعات الفرنسية لم يخفق ضميره الوطني ولم يقطع العلاقات التي تصله بالطبقات الكادحة .

مؤتمر ٢٠ اغسطس ١٩٥٦

اذا كان رجال الثورة لم يطبقوا ذلك المنهج الذي سطروه ــ منذ اندلاع الثورة ــ لاقامة قيادة موحدة ، فان السبب في ذلك راجع الى عدم تمكنهم من ذلك .

وفي ٢٠ اغسطس (آب) سنة ١٩٥٦ رأى هؤلاء الابطال ان الوقت قد حان لتأليف قيادة تسير الثورة وتشرف على توجيهها في الداخل والخارج ، وعقد المؤتمر في وادي سومام وشارك فيه مندبون سياسيون وعسكريون عن كل الولايات . واسفرت جلسات المؤتمر عن قرارات ، اعتبرت ــ منذ ذلك الحين ــ دستور الثورة ونبراسها، سواء في الميدان السياسي او الميدان العسكري وانتخب اعضاء المؤتمر ٣٤ عضوا تألف منهم (المجلس الوطني للثورة الجزائرية) وهؤلاء انتخبوا بدورهم خمسة اعضاء الفوا (لجنة التنسيق والتنفيذ للمؤتمر)

وعقدت الدورة الثانية للمؤتمر في ٢٠ اغسطس ١٩٥٧ بمدينة القاهرة ، وشارك فيه ممثلون عن كل الولايات . ودرس المجتمعون تطورات الثورة خلال سنة وبنوا تخطيطهم لاعمال السنة القادمة على هذه التطورات ، وانتهت جلسات المجتمعين بوضع تخطيط للسنة الجديدة تسير بمقتضاه العمليات العسكرية في الداخل ، والنشاط الديبلوماسي بالخارج ، وبتوسيع نطاق المؤتمر برفع عدد اعضاء المجلس الوطني واعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ)

ان الثورة العربية في الجزائر اصبحت تسير حسب اوامر قيادة واحدة من حدود مراكش غربا الى حدود تونس شرقا وتطبق ولايات الثورة السبعة ، قرارات المؤتمر تطبيقا كاملا ، وقد كان الهجوم الذي شنه جيش التحرير بمناسبة الذكرى الثالثة للثورة دليلا قاطعاً على تحقيق هذه القيادة الموحدة .

خاتمة المطاف

ان العاملين الرئيسيين اللذين زعزعا - في نفس العربي ذلك الشعور بالنقص ازاء قوى الاستعمار هما ثورة الجزائر بالمغرب العربي وجمال عبد الناصر وقادة الحركة العربية الاشتراكية بسوريا بمشرقه . فثورة الجزائر كشفت للعرب على ان النضال الجماهيري الذي يتخذ القاعدة الشعبية ارضية له اسلم طريقة للتخلص من الاستعمار ومـــن اثارة كالزعامة النرجسية ، والاشكال السياسية المستوردة الخالية من كل حياة .

اما جمال عبد الناصر فقد قضى على ذلك الخوف الذي كان يكمن في لاشعور ساستنا التقليديين ، ويصور لهم الاستعمار على انه بعبع يجب اتخاذ الطرق اللامباشرة الملائمة للتخلص من نفوذه وسيطرته قضى عليها بصفقة الاسلحة الروسية وبتأميم القناة وبمعركة بور سعيد .

ان الشعب العربي بالجزائر يؤمن بأن استقلال الجزائر لايمكن ان يكون استقلالا حقيقيا الا بشرطين: ــ اولا : اعتماده على نظام اجتماعي عادل . ثانياً : اعتباره خطوة نحو الهدف العربي الاكبر المنشود ، الا وهو تحرير كل عربي من الاستعمار والاقطاعية والاستغلال ، وتخليصه من انانية الحكام العرب المحليين بازالة هذه الحدود المصطنعة التي تعتبر رأس المشاكل والمصائب للشعب العربي .

وسوف لايقصر عرب الجزائر الذين حرموا من كل مقومات عروبتهم طيلة ١٣٠ سنة ، واصبحوا ينظرون الى كل ماهو مشتق من مادة (ع ر ب) على انه شيء مقدس يعتبر مناله نعمة مابعدها نعمة . سوف لايقصر عرب الجزائر الذين لم يجدوا الى جانبهم محنتهم ــ سوى العرب الذين وقفوا صفا واحدا معهم كما وقفت الصين الى جانب الهنود ـ الصينيين ، واليونان الى جانب القبارصة ، سوف لايقصر عرب الجزائر الذين ذاقوا مرارة تشتيت النضال العربي ، سوف لايقصرون في تسخير كل طاقاتهم الثورية لتحقيق هدف العروبة المقدس الا وهو الوحدة العربية المبنية على اساس اشتراكية عادلة .

الكويت عثمان سعدي

سحر الغناء

بقلم

سعد صائب

لم تكن « التمثيلية » معروفة – كفن او ملكة – في ادبنا العربي القديم لاسباب جمة لامجال لذكرها الآن . ولكننا نرى ان كثيراً من الحوار التمثيلي او « المناظر الصغيرة » مبثوثة في طوايا كتبنا الادبية القديمة ، نستطيع بقليل من الجهدان نجعل منها تمثيليات تحاكي – من حيث خلق الجو المسرحي – اروع المسرحيات الغربية . ولقد جرّب الاستاذ توفيق الحكيم هذا الضرب من الادب في بعض مسرحياته الصغيرة التي نقلها عن « الجاحظ » دون ان يغير في الالفاظ والمعاني ، وانما سمح لنفسه – كما يقول – ببعض الحذف وبعض الملاءمة بين وضع الحوار الاصلي ، والوضع المسرحي ، بغير ان يمس جوهر الموضوع . ولقد اشار « الحكيم » بحق الى ان عناصر كل نوع من انواع الادب والفكر موجودة عند ادبائنا القدامى ، لكنها مجرد عناصر فحسب كما دعا الى استخراج هذه العناصر وتفصيلها وتبويبها ، هادفاً من وراء ذلك الى « اعادة الشباب الى الادب القديم بالباسه حلة جديدة دون تغيير اللب . وهأنذا انتهج نهج « الحكيم » في اقتباس هذا المشهد الغنائي القديم الذي يكاد يمثل مشهداً فذاً من مشاهـــد « الاوبرا الغنائية » في ازهى عصورها ، مؤمناً معه « بان مجال العمل في الادب العربي القديم متسع » ، ولن تفرغ منه اجيال قادمة برمتها » .

المنظر : « غياض .. نبع ثر خارج « المدينة المنورة » .. نساء يخطرن في مشيهن وعلى اكتافهن جرار الماء .. »

المشهد الاول

« يسير اسماعيل بن جامع السهمي المغني بخطى وئيدة حائرة وقد اضناه الجوع .. تقبل من بعيد جارية على كتفها جرة وهي مسترسلة في غنائها .. يصغي اليها اسماعيل باهتمام ظاهر »

الجارية : « وهي مسترسلة في غنائها غير مبالية باسماعيل » .

شكونا الى احبابنا طول ليلنا
فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لأن النوم يغشى عيونهم
سراعاً ومايغشى لنا النوم اعينا
فلو انهم كانوا يلاقون مثلما
نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

اسماعيل : « وقد سحره غناؤها وان لم يدر منه حرفاً .. يستوقفها متردداً »

ياجارية ! لقد اعجبني والله حسن غنائك « متوسلاً » لو شئت اعدت !

الجارية : حباً وكرامة .. « تسندظهرها الى جدار قريب وتضع احدى رجليها على الاخرى ثم تنبعث بالغناء »

اسماعيل : « متوسلاً » احسنت ! فلو شئت اعدته مرة اخرى !

الجارية : « مغتاظة » ماعجب امركم ، احدكم لايزال يجيء الى الجارية عليها الضريبة فيشغلها .

اسماعيل : « يضرب بيده على الدراهم الثلاثة التي يملكها فيدفعها اليها » اقيمي بها وجهك اليوم الى ان نلتقي

الجارية : « تتناول الدراهم » انت الآن تريد ان تأخذ مني صوتاً احسبك ستأخذ به الف دينار ، والف دينار ، والف دينار ، « تنبعث بالغناء حتى تكمله ثم تنصرف .. يشيعها اسماعيل بنظراته الى ان تغيب .. صمت قصير ، يمضي الى داره نشوان وهو يردد الاغنية حتى تخف على لسانه »

المشهد الثاني

المنظر : « اسواق بغداد عاصمة الرشيد .. يسير اسماعيل في دروبها حيران لايدري اين يتوجه ، ولا من يقصد ، يبلغ جسراً فيعبر مع من يعبر حتى ينتهي

الى شارع فيرى عن بعد مسجداً .. الوقت قبيل الغروب »

اسماعيل : « يخاطب نفسه » مسجد قوم سراة قد تسامت مأذنته ، وحكم بناؤه فلأدخلنه ، لعل به بعض من يعولني من اهل البر والاحسان « يدخل المسجد .. يصلي صلاة المغرب ويقيم فيه حتى يصلي العشاء وقداضناه الجوع واخذ التعب منه مأخذه .. ينصرف اهل المسجد الا رجلاً يصلي خلفه خدم ينتظرون فراغه .. ينهض الرجل منصرفاً فيرى اسماعيل قابعاً »

الرجل : « مخاطباً اسماعيل » احسبك غريبا ؟

اسماعيل : « مذعوراً » اجل !

الرجل : فمتى كنت في هذه المدينة ؟

اسماعيل : « متردداً » دخلتها آنفاً وليس لي بها منزل ولا معرفة ، وليست صناعتي من الصنائع التي يمن بها اهل الخير !

الرجل : وما صناعتك ؟

اسماعيل : الغناء !

الرجل : حسن .. « ملتفتاً الى احد خدمه » اعن به « يخرج »

اسماعيل : « الى الخادم » من هذا ؟

الخادم : هذا سلاّم الأبرش ياأخا العرب ! « هنيهة .. يأتي رسول يطلب اسماعيل ثم يمضي به الى دار ويدخله مقصورة في آخر دهليز »

الرسول : « للخدم » علي بطعام .. « هنيهة .. يحضر الطعام فيبدأ اسماعيل الاكل .. جلبة .. ضوضاء »

مناد : اين الرجل ؟

الخدم : هوذا !

المنادي : « الى الخدم » ادعوا له بغسول وخلعة وطيب .. « تقدم له ، ثم يحمل على دابة الى دار الخليفة .. يجاوزونه مقاصير عدة حتى يبلغ داراً فيها سرر وارائك » .

المشهد الثالث

المنظر : « رجل جالس عن يمينه ثلاث جوار حسان في حجورهن عيدان وفي حجر الرجل عود »

الرجل المغني : « ناظراً الى اسماعيل » مرحباً اخا العرب . ادن واجلس بجانبي « يقترب اسماعيل منه ويجلس بجانبه .. هنيهة صمت .. يخرج خادم من خلف الستار »

الخادم : « مشيراً الى الرجل المغني » تغن .. « ينصرف »

الرجل المغني : « ينبعث بالغناء بغير اصابة واوتار مختلفة » :

لم تمش ميلاً ولم تركب على قتب
ولم تر الشمس الا دونها الكلل
تمشي الهوينا كأن الريح ترجعها
مشي اليعافير في جياتها الوهل

« يعود الخادم »

الخادم : « مشيراً الى الجارية » تغني . « ينصرف »

الجارية الاولى « تنبعث بالغناء احسن حالاً من الرجل » :

لئن مصر فاتتني بما كنت ارتجي
واخلفني فيها الذي كنت آمل
فما كل ما يخشى الفتى بمصيبة
ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل

« يعود الخادم »

الخادم : « مشيراً الى الجارية الثانية » تغني .. « ينصرف »

الجارية الثانية : « تغني بصوت لابن ميمون » :

تعيّرنا إنا قليل عديدنا
فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرّنا انا قليل وجارنا
عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا لقوم ما نرى القتل سبة
اذا مارأته عامر وسلول
يقرّب حب الموت آجالنالنا
وتكرهه آجالهم فتطول

« تنتهي ولم يأت الخادم .. صمت قصير »

اسماعيل : « الى الرجل المغني على مضض » بأبي انت ! خذ هذا العود وشد وتره ، وارفع الطبقة . « يفعل المغني ما يطلبه اسماعيل .. يدخل الخادم »

الخادم : « مشيراً الى اسماعيل » غن عافاك الله « ينصرف »

اسماعيل : « يغني بصوت الرجل المغني على غير ما غناه .. جماعة من الخدم تركض حتى تبلغ اسماعيل فتسنده على اريكة »

الخدم : « بصوت واحد » ويحك لمن هذا الغناء ؟
اسماعيل: « في زهو » لي . « ينصرف الخدم عنه مسرعين الاخادم »
الخادم : كذبت .. هذا الغناء لابن جامع .. « يدور الدور ثانية ، وحين ينتهي الغناء الى اسماعيـــل ينادي الجارية الاولى . »
اسماعيل: « الى الجارية » خذي العود .. « تفهم الجارية ما اراد فتسوي العود على غنائها للصوت الثاني فيغني اسماعيـل به .. يعود الخدم مسرعين »
الخدم : « بصوت واحد » ويحك لمن هذا الغناء ؟
اسماعيل : « في زهو » لي .. « ينصرف الخدم .. يغني بصوت له ولا يعرف الابه » :

ومالي لا ابكي واندب ناقتي
اذا صدر الرعيان ورد المناهل
وكنت اذاما اشتد شوقي رحلتها
فسارت بمحزون كثير البلابل

« تزلزل الدار من سحر الغناء .. يعود الخدم مسرعين »
الخدم : « بصوت واحد » ويحك لمن هذا الغناء ؟
اسماعيل : « في زهو » لي « ينصرف الخدم ثم يرجعون »
الخدم : « بصوت واحد » كذبت هذا غناء ابن جامع .
اسماعيل : « في خيلاء » انا اسماعيل بن جامع .. «هنيهة .. يقبل هرون الرشيد وجعفر بن يحيى من وراء الستار »

المشهد الرابع

المنظر : « الخليفة .. جعفر .. اسماعيل .. المغنون .. جوار .. خدم »
جعفر : « مخاطباً اسماعيل » هذا امير المؤمنين قد اقبل اليك .. يقف اسماعيل دهشاً »
الرشيد : « ناظراً الى اسماعيل بعد ان صعد السرير » ابن جامع ؟
اسماعيل : « بخشوع » ابن جامع .. جعلني الله فداك يا امير المؤمنين .
الرشيد : ويحك متى كنت في هذه الحاضرة ؟
اسماعيل : آنفاً دخلتها .. في الوقت الذي علم بي امير المؤمنين .
الرشيد : اجلس ويحك يابن جامع « هنيهة صمت » ابشر وابسط املك .
اسماعيل : « مطمئناً » ادام الله بقاء مولاي ، واعز سلطانه .
الرشيد : غن يابن جامع
اسماعيل : « يخطر بقلبه صوت جارية المدينة .. يومىء الى الرجل المغني ان يصلح العود حتى تستقيم اوتاره .. يتناول العـــود وينبعث بالغناء بصوت الجارية :

شكونا الى احبابنا طول ليلنا
فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لأن النوم يغشى عيونهم
سراعاً وما يغشى لنا النوم اعينا
فـلو انهم كانوا يلاقون مثلما
نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

الرشيد : « لجعفر باهتمام ظاهر » اسمعت كذا قط ؟
جعفر : لا والله ماطرق مسامعي قط مثله يا امير المؤمنين .
الرشيد : « يومىء الى خادم بالقرب منه ويأمره بكيس فيه « الف دينار » فيرمي به الى اسماعيل »
اسماعيل : « يتناول الكيس فيصيره تحت فخذه » اطال الله بقاء امير المؤمنين واعز سلطانه .
جعفر : « لاسماعيل » يابن جامع ردد على مسامع امير المؤمنين هذا الصوت .
« يردده اسماعيل ويتزايد عليه »
جعفر : « للرشيد » ياسيدي اما تراه كيف يتزيد في الغناء ؟ هذا خلاف ماسمعناه اولاً ، وان كان الأمر في اللحن واحداً .
الرشيد : « يومىء الى الخادم ويأمره بكيس آخر فيه « الف دينار » يرمي به الى اسماعيل .. يتناوله ويصيره تحت فخذه » تغن اسماعيل ماحضرك .
اسماعيل : « فرحاً » سمعاً وطاعة ياأمير المؤمنين .. « يأخذ بترديد الصوت حتى يعسعس الليل »
الرشيد : « لاسماعيل » اتعبناك يابن جامـع هذه الليلة بالغناء ، فاعد الصوت .
« يغني صوت جارية المـدينة بتفنن وعذوبة يومىء الرشيد الى الخادم ويأمره بكيس ثالث فيه « الف دينار » يرمي بـــه الى اسماعيل . يتذكر قول الجارية فيبتسم »

القرية الضائعة

بقلم

بدر الدين الحاضري

اراني دون وعي ، اعود الى الماضي البعيد ، وانا اقف هنا على مشارف قريتي ، لالقي على قبابهـــا البيض ، آخر نظرة ، واستعرض ـ هناك ـ في اعماقي صوراً متلاحقة ، تبدأ منذ الطفولة الواعية الى ان تتهاوى عند الصخرة التي اجلس اليها الآن اودع منها قريتي الضائعة .

. . .

كان يمكن أن أبقى قرويا ساذجاً ، تدمي يديه الاشواك ، وينغمس الى قمة رأسه في الوحل والشقاء ، وهو قانع راض ، لأنه لا يعرف أجدى من القناعة والرضى .

كان يمكن أن ابقى مثل ابي ، وعمي وجدي ، منذ ان عرفتهم الارض والتصقوا بترابها ، وخضبت دماؤهم اشواكها لولا ان الحياة كالنهر الكبير ، يغير مجراه ، فجأة ودون مبرر .

واني لاتساءل الآن والحيرة تعصر كل كياني : أكان من الخير لي أن تغير الحياة مجراها ، ام ان ما كان ، ان هو الا استمرار . لشقاء ، ولد معي وسيشيعني حتى مثواي الاخير ؟ لست ادري .

كان ذلك منذ سنين طويلة ، حين كنت مجرد طفل قروي لا يعرف من أمور الدنيا غير شيء واحد ، اخذت صورته تتضح لدي شيئاً فشيئاً كلما انصرمت ليلة من ليالي الشتاء الباردة ، وكلما اويت الى فراشي القذر فأحس لملمسه الخشن بلسعات قارسة ، انقلص على اثرها وانكمش على بعضي ، ومن ثم ابدأ بالنفخ تحت اللحاف ، عل ذلك يعود علي بشيء من الدفء السريع .

كان والدي ـ بكل ما فيه من قروية جاهلة وابوة ساذجة يتحدث عن نفسه حديثاً مستفيضاً لا عوج فيه ولا التواء ، لانه كان يعتقد انه يقرر حقيقة واقعة ، لا سبيل لاغفالها ، اذ انها تقص حكاية قديمة ، طالما رواها الآباء في القرية لابنائهم ، ولعل والدي حين يقص على ذلك ، انما كانت رواسب الماضي السحيق ، هي التي تجعله يردد ـ دون وعي ـ على مسامعي في ليالي الشتاء الباردة قصة العبوية الذليلة .

غداً ـ وكانت يده الجاسية الغليظة تواكب غداً هـــذه ، فتنزل على كتفي ثقيلة ، تجعلني اكف عن النفخ تحت اللحاف لانها ايذان بحديث يبدأ واظنه لا ينتهي ، اذ تبدأ سحب كثيفة غلاظ ، تغيم على عيني وقلبي فاستسلم لرقاد ، تهوم فيه خيالات ممسوخة ، وصور تراصفت مما يردده دون وعي .

غداً ، حين يأتي الصيف يابني . وتسمع الى الصراصير ، تئز الى جانب البيادر ، يكون موعده قد حل ، فننتقل ـ كلنا ـ الى هناك ، الى الدار الحجريـــة البيضاء ، فننعم مرة اخرى بالمآكل والمشارب . وسوف تأكل التفاح الاحمر والاصفر ، وسوف تأكل العنب الشامي الذي لا يراه ابناء قريتك في العمر مرة واحدة . سوف نعيش شهراً كاملاً على خيرات « الآغا » ونعمه ، وسوف اشتري لك دراعة جديدة ، تباهي بها عجبان القرية جميعهم ، ان دراعتك التي تلبسها الآن ، قد اشتراها لك خليل آغا ، وغداً سوف يشتري لك دراعة اخرى ، أطال الله في عمره وحفظه لنا ذخراً .

وما ان تطرق مسامعي هذه الداعوات الضارعة ، حتى تبدأ السحب الكثيفة الغلاظ ، تغيم على عيني وقلبي ، فيخيل للناظر انني في رقاد عميق ، ولو قدر له ان يكشف عما يرتسم في عيني ، لرأى صورة لواد سحيق عجيب ، ارتفعت فيه عيـدان

الرشيد : « وقد لحظه » ويحك مم تبسمت ؟

اسماعيل : « يجثو على ركبتيه في ذعر » يا امير المؤمنين الصدق منجاة

الرشيد : « هنيهة » قل ولك الامان

اسماعيل : « مرتبكاً » حدث لي يا مولاي ان جارية حميراء مرت بي وهي تغني على ايقاع سوي ، فسحرني غناؤها ، فاستوقفتها وطلبت منها اعادته ففعلت فأخذ في نفسي فرجوتهـا اعادته ، فاغتاظت فدفعت اليها بثلاثة دراهم كانت بيدي فاخذتها كارهة وهي تقول : الآن تريد ان تأخذ مني بدريهماتك صوتاً احسبك ستأخذ به الف دينار ، والف دينار ، والف دينار ، فتذكرت صدق قولها فتبسمت

الرشيد : صدقت يا بني قد يكون هذا .. « هنيهة صمت »

« ينزل الرشيد من سريره ، فيقف القوم اجلالاً .. يومىء الى اسماعيل ان يتبعه .. يأتي خادمان فيأخذانه الى دار قـد اعدت له فيها جميع ما يكون من آلة جلساء الملوك وندمانهم »

يسدل الستار   دمشق   **سعد صائب**

نحيلة ضعيفة ، ذات شعب متعددة ، يحمل بعضها عناقيد من العنب الشامي ويحمل بعضها الآخر تفاحاً احمر واصفر ، والى جانب العيدان النحيلة الضعيفة ، انتصبت حبال في خطوط متوازية منظمة ، قد علق عليها « دراعات » صفر تهزها الريح الناعمة ، هزاً رفيقاً فتنتفخ فرجاتها السفلى ، وتمتد اكمامها في اتجاهين متخالفين ، فلا أملك ازاء ذلك كله ، الا ان افتح فمي للعنب والتفاح ، وامد يدي للثياب المعلقة المنصوبة ، فآكل والبس والبس وآكل ، حتى اغيب في لجة من الثياب الصفر ، وتصبح امامي ، كرش ضخمة مرتفعة ، واشعر بعدها اني كنملة تريد ان تنقل كنوز سليمان فأتلفت يمنة ويسرة ، وشمالاً وجنوباً فلا أرى وأنا في قلب الوادي الا داراً حجرية بيضاء ، كأنما اغتسلت بنور الاله وقد وقف امامها مارد عملاق ، يطل من اعلى الجبل على كنوزه ليحرسها ، وليمتع نظره بمرآها ، وهي تملأ الوادي الرحيب ، فلا البث ان اخلع الثياب الصفر ، واعود الخلف زاحفاً خائفاً .

ويشرق الصباح وانسى كل شيء، انسى خليل آغا ، والتفاح الاحمر والاصفر ، وانسى الحلم والوادي ، وامرح مع رفاق القرية وراء حمار هزيل ، أو كلبة مسعورة ، فنشد ذاك من ذنبه ونرمي هذه بحجر ، ويلف القرية ليل جديد ، ويقص والدي حكاية قديمة وتمضي ليلة وليلة ، واسبوع بعد اسبوع ، وتدب الحياة في الحقول، ويحل موسم الحصاد ثم يقبل خليل آغا.

وكما تنشق ارض الاساطير عن فارس الاحلام المنتظر ، أقبل خليل آغا ، تحيط به هالة من القداسة والاجلال ، واي قداسة واجلال يفوقان موكب خليل آغا ، وقد خرجت القرية عن بكرة أبيها ، خرجوا جميعاً لاستقباله حين ترامى لهم من بعيد بوق سيارته ، يقرع أسماعهم قرعاً ، وظل في مكانه ذاك ـ خارج القرية ـ لم يبرحه ، حتى تأكد ، انه ما من انسان قد تخلف عن لقائه ، وحينئذ اندفق من سيارته كما تنقذف الصخرة من اعلى الجبل ، فاذا بالجموع تتراجع الى الوراء في الحال ، لتحافظ على المسافة التي تفصلهم عنه ، ولما كان الآغا قد استحوذ على كل خيالي لم التفت الى السيارة الانيقة التي انشقت ـ بعدئذ ـ عن فتى يافع لم تقع عيني من قبل على مثله ـ حيوية ونشاطاً وصحة . اندفع من الباب الخلفي ، وهو يزبد ويرعد ، متجها نحو خليل آغا الذي نظر اليه وكأنه يعاتبه على افساده جلال الموقف ، ولكنه مالبث ان انحنى اليه ، وهمس في اذنه همسات هدأت من نشاطه ، وجعلته يلقي نظرة على الجموع التي وقفت ترنو اليه وكأنها تتجاهل هذه الجلبة التي احدثها .

اما انا فقد هالني ان ينتهي ذلك كله بمثل السهولة التي تم بها ورحت استعيد الصورة التي ارتسمت في مخيلتي عن الآغا على انها الشيء الوحيد الذي عرفته من امور هذه الدنيا ، ارقب قدومه بصبر مرير لاطابق بين الاصل والصورة .

لم يجسر احد على الاقتراب من خليل آغا ، وظلوا كأنهم شدوا الى الارض بكل جاذبية الارض ، الا والدي ، فقد رأيته من بين الجموع يهرع ـ كأي عبد بكل ما فيه من ذل ومسكنة ـ اليه ، يحييه ويخلط التحية بالدعاء ، مما جعلني اوقن بمكانة والدي عنده ، وانه يختلف ـ حتماً ـ عن بقية الرجال اختلافاً بيناً .

ويلفت نظري مرة اخرى ، الآغا الصغير ، فهو وان كان يكبرني ، عاماً او عامين على مايبدو ، الا ان فيه شيئاً يقربني منه ويجعلني احس ، بصورة ما ، ان مصيري مرتبط به ، شئت أم ابيت فقد حدثتني الرواسب التي حدثت قبل ذلك ، والدي وجدي ، ان السيادة والعبودية تبدآن جنباً الى جنب مع الطفولة ، وتنتهي الى ما انتهى اليه والدي منذ لحظات .

وامعن النظر فيه ، واتتبع حركاته النشيطه ، ويسترعي انتباهي شيء لم استطع ان اصرف نظري عنه . لقد كان حذاؤه يلمع لمعاناً مخيفاً حتى بت اخشى عليه ، هذا الغبار الذي استنشقه ، وآكله مع الخبز الاسود ، صباح مساء ، ولم يطل تحديقي بالحذاء ، فقد وقع ما كنت اخشاه .

كان امام الدار الحجرية التي توجه اليها الاغاني جمع من اهل القرية نبع يحمل الخير والبركة لحديقة الدار ، وكانت المياه تنساب في سواق تدور حول الحديقة وخلالها ، في نظام بديع ، جعل خليل آغا ، يثني على والدي ، ثناء ملأ آذاني ، وكدت على اثره ، اطالب بحقي في هذا الثناء ، اذ ان لي جهداً لايقل عن جهده ، في تنظيمها والعناية بها ، لولا أني رأيت وياالهول مارأيت ، رأيت الحذاء الاسود اللامع يغطس في احدى السواقي ، ويخرج بحالة لم تعد قدماي الحافيتان تحسدانه عليها فأخذت اضحك من صميم قلبي ضحكات ، لمعت في عيون من تبقى حول الآغا ، ولاسيما والدي الذليل ، لاحقداً واستنكاراً بل خوفاً وجزعاً ، اما الآغا الصغير ، فقد التفت الي ، واكبر الظن انه شعر كما لم يشعر انسان قط ، بجرح عميق ، جعله يرتعد قبل ان يلتقط حجراً من الارض يقذفني به ، وينقض على كنمر جريح ، ويقسم وهو يلكمني اللكمات متتالية ، انه سيقضي علي في الحال ، ان لم ابادر الى غسله وتنظيفه بدراعتي القذرة.

استسلمت اضربانه ، ولم ابد أي مقاومة ، الا اني اعترضت في داخلي طبعاً ـ على فكرة مسح الحذاء بدراعتي القذرة ، لالشيء الا لأن ذلك لن يفيد شيئاً في اعادة الحذاء الى لمعانه المخيف ، وان كانت دراعتي لن تنجرح كبرياؤها بقليل او كثير.

وعلى ذلك عزمت امري ، وانتويت ان اقاطع الدار وساكنيها ، ولو ادى ذلك الى حرماني من الجنة ، التي وعدني بها والدي ومناني بها طيلة ليالي الشتاء .

ربي إعجيبة هذه الاماني التي تمد في اعمارنا ، وتجعل حياتنا محتملة مقبولة ، حتى اذا مابدا امام اعيننا سرابها ، وكدنا نتبين حقيقتها حملنا انفسنا على المغالطة وعللناها ببروق تتبعها بروق ثم تنطفىء فجأة ، الشمعة التي واكبت امانينا ، وكانت ترتبط بها بتلك الخيوط الضعيفة الواهية التي تلمع بين وقت وآخر في ليل طويل قاس .

ومع اني رضيت من الغنيمة بالأياب ، وقررت التواري عن النظر ، طيلة الصيف ، الا اني حين كنت انام الى جانب البيادر ، واسمع الصراصير تئز ، كانت الاحلام بالعنب والتفاح وبالدراعات الجديدة تملأ ليالي كلها ، وتصبح فكرة ثابتة بأنها لابد ان تتحقق ، ان لم تكن في صيفنا هذا ، ففي الصيف القدم

وعلى ذلك ، رحت ارقب موعد الرحيل ـ رحيل الآغا وابنه عن القرية ، لأبدأ سلسلة جديدة من الصور التي رسمها عقلي الصغير عن موسم الصيف القادم واين شهور الشتاء ، وامطار كانون والثلج الذي يجلل القباب ستمحو كلها الاثر الذي تركته في نفس الآغا الصغير ، حادثة الساقية التي لم يكن لي فيها يد .

ويمضي الصيف بالأماني وبالآغا وابنه ، وتبقى دراعتي القذرة لم تتغير ولم تتبـــدل . ويحل الشتاء واسمع في اعماقي الى الامطار وهي تنهمر من عيون السماء ، وارى في قلبي الثلوج وهي تغسل الخبث والادران عن الارض الطيبة فاحس بنشوة غامرة اخذت تزداد مـــع الايام ، كلما رأيت سنابل القمح ترتفع يوماً بعد يوم وكلما رأيت والدي يهرع الى الدار البيضاء والحديقة ذات الساقية بعدها والدي لاستقبال الآغا وابنه .

وذات صباح ، يقبلان ، كما تنشق الارض عـــن فارس الاحلام ، وتدفعني الاماني المضيعة في الصيف الماضي ، الى امان عذراء رسمتها فكرة خيرة عن انسانية نبيلة ، فأهرع مع الجموع . كما هرعت منذ عام مضى ، نسيت معه كل شيء الا هذه النظرة المتحفزة الناقمة التي رأيتها مرة اخرى تلمع في عيني الاغا الصغير كان يبدو انه يذكر كل شيء ، كان ذلك لم يمض عليه ، هطلت فيه امطار كانون وعممت الثلوج قباب القرية وسمعت منه كذئب متوثب .

ــ انت لازلت هنا ؟

ورأيت منه مرة اخرى ، مالقيته منذ عام ، فيبلغ بي الغيظ مداه واتلفت حولي ، استطلع الوجوه الذاهلة ، التمس لديها العون والقوة ، فلا اجد فيها الا اغضاء الجفون ، ورعشات الشفاه ــ واسمع ـ هكذا اخيل لي صريراً ذليلا تحت الاسنان فلا املك الا ان ارفع دراعتي الى فمي ، واتطلع الى الافق البعيد الى اقصى مانقع عليه عينان ، وانطلق كسهم مجنون حتى تخور قواي اتعثر بدموعي ، فأتهاوى بين طيات التراب الرحيم ، ادفن وجهي واعفر رأسي ، واغيب هناك ساعات ، فلا اعود الى القرية . الا بعد ان يسربلها الظلام ، وتنجحر الخنافس الذليلة في شقوقها فلا أرى في طريقي الى الدار الا كلاباً تتعاوى على جيفة رحما قتلها فأتسلل في الجوع ، المنعرجات الضيقة كلص وفد على القرية الهاجعة .

ويشرق صباح ، ويحل مساء ، وتنقضي أيام الصيف كما انقضت ايام قبل عام ، واعود احمل النفس على الصبر في ليالي الشتاء ، لالقى في مطلع الموسم الجديد مرة اخرى ، مالقيته اول مرة .

• • •

كان يمكن ان ابقى قروياً ساذجاً ، تدمي يديه الاشواك وينغمس الى قمة رأسه في الوحل والشقاء ، وهو قانع راض لانه لايعرف اجدى من القناعة والرضى ، كان يمكن ان ابقى في القرية ابد الدهر ، استقبل لكمات الآغا الصغير ، لولا اني رأيت والدي يتهاوى على الارض ذات مرة جثة هامدة وهو يمهـــد الحديقة المحيطة بالدار الحجرية البيضاء .

بدر الدين الحاضري

العــودة

(الى شعراء العراق وكتابه الاحرار)

شعر

حسن فتح الباب

الليلة موعد احبابي
اني انتظر
والوجد يسهد اجفاني
صبراً يا قلبي
مازال الركب على الدرب
يحدو أشواقي بالحب
لا تهتف باللحن الشاجي
اوقد شمعة
فالريح من الشرق على بابي
تلقي ماحملها اصحابي
كانوا من انفاس عطره

— • —

الخطوة امنية حلوه
والضحكة لرفاقي
والخفقة في صدري غنوه
تنسج لي افراح العوده
فالليلة موعد احبابي
الايدي تمتد فتزهر
في روحي اغصان من ورد
ويغني عصفوري الاخضر
احلام الغد

— • —

مرحي يا رفقائي
يا عشاق الانسان
الرحلة كانت قبل الفجر
والقمر الساري لم يسفر
عن وجه صديق
وحملتم مأساة الليل
اني اعلم
الملح في الوجه نثار غبار
وعلى المنكب من اطباق الغيم
بعض رماد
دميت اقدام تصعد فوق السفح
والسفح تجلله الاشواك
وبلوتم ما صنع الويل
اني اعرفها
اشباحاً خائنة الاعين
كم غرست شوك الحقد الاسود
في القاع ، على درج السفح
حتى القمه

— • —

ها قد عدنا
لم يكذب رائدنا اللماح
لما اذن ان الفجر على الابواب
والجبل الصاعد في شرفات الأفق
درع لمدينتنا السمراء
في مهد الوادي تحت ذراع النهر
مرحى يا رفقائي مرحى
العود حميد
ايدكم يغمرها ظل البيدر
وتضيء الاوجه
وعبير الارض الفاغم يسبي الروح
ان تخلف اشواك الحقد الهاوي
بعض جراح
لا ضير
فلتبق عذابات الرحله
تذكاراً للانسان الصاعد

— • —

العود حميد يا عشاق الانسان
يا صناع الكلمه
غنوا الشمس على ابيات الاحرار
غنوها في عين مدينتنا
وعيون الاحباب الشرفاء
في عالمنا الاتي الاكبر
غنوا ، لن يفني سحر الكلمه
غنوا ، فالليلة موعد احبابي

القاهرة — حسن فتح الباب

القيم الاجتماعية والتشريع

بقلم

الدكتور محمّد الفاضل

لم تعان المدنية الحديثة في عصر من عصورها ازمة جائحة عنيفة كهذه التي تعانيها اليوم ، واغلب الظن لدى من استقرى اصولها واكتنه اسبابها انهـا ، في جوهرها ، ازمة قيم ؛ فلقد طوحت اعاصير الحربين بتوازن المجتمعات السابقة ، وزجت في ميدان الصراع التاريخي بكتل فعالة منظمة من الجماهير تصدعت امام حاجاتها ورغائبها وانطلاق امكانياتها اسس الكيانات الاجتماعية واسوار انظمة الحكم ، وافسحت لها في صدرها منزلاً رحبا .

ومن البدهي ان يرافق هذا الانقلاب في توازن القوى الفاعلة في سير التاريخ انقلاب في الاوضاع الاجتماعية ؛ وان يحاول انسان اليوم ، وهو وليد هذه الثورة الانسانية العميقة الشاملة ؛ اقامة العلائق الاجتماعية على اسس تنسجم وجدول القيم الجديد ، بعد ان انهارت في عينيه أسس قيم الامس ، وتبدلت مفاهيم السلوكين العقلي والخلقي معاً .

ومما لا مشاحة فيه ان التشريع هو الضابط الاجتماعي الاول ؛ الناظم علاقات الفرد بالفرد من جهة ، وعلاقات الفرد بالمجتمع من جهة اخرى ، سواء أكان المجتمع قد بلغ في مراحل نشوئه ونموه شكل الاسرة ، وهي الخلية الاجتماعية الاولى ، او شكل العشيرة او المدينة او الدولة او ماوراءها . فمن الطبيعي اذن ان ينم التشريع عن وقائع الحياة الاجتماعية في اتجاهاتها المولدة المتحركة البدائية ، وعن توازن القوى والمصالح فيها ، وان يلتمس صياغة الحلول السلمية العادلة للتناقضات التي قـد يحملها النظام الاجتماعي في صلبه .

والتشريع ، كسائر العلوم الاجتماعية ، يرتكز على ملاحظة وقائع الحياة الاجتماعية وفعاليات الافراد والجماعات وادراك قواعدها ورسم معطياتها واكتناه قواها ، وايجاد الصيغ العاجلة لخلق التوازن بينها فالتشريع من هذه الناحية علم كسائر العلوم يخضع في ولادته ونموه وانقراضه للقواعد الحياتية ـ واذكر انقراضه : لان القوانين تفنى بفناء المؤسسات الاجتماعية التي تعبر عنها وتصونها ، وكما تخلق الوظيفة العضو في الحقل الحياتي فكذلك تخلق الوظيفة المؤسسة في الحقل الاجتماعي وتحافظ عليها بالتشريع حتى اذا ماتداعت الوظيفة الاجتماعية ، تداعت المؤسسة الاجتماعية ومن ورائها نظامها الحقوقي .

بيد ان التشريع ليس علما فحسب قوامه التجربة والملاحظة وتقرير قواعد العلاقات الاجتماعية الراهنة ولكنه فن ايضا لانه يهدف من حيث الاساس الى تلبية مقتضيات النظام الاجتماعي في سيره نحو تحقيق مبادىء العدالة كما يهدف من حيث الشكل الى هندسة الصيغ المثلى للتعبير عن هذه العدالة . ان التشريع ينتقي من بين معطيات الحياة الاجتماعية المواد الاولية ليشيد بها للعدالة صرحها وهذه المواد الاولية اما ان تكون اقتصادية يعبر عنها بالمصالح ، واما دينية خلقية يعبر عنها بالعقائـد والمناقب واما سياسة اجتماعية يعبر عنها بالمذاهب والتقاليد فالمصالح والعقائد والتقاليد هي العناصر الرئيسية التي ينبغي على التشريع ان يحلها محلها من التقدير والاعتبار عند تنظيم العلائق الحقوقية . واذا كانت مقتضيات العدل تستلزم الانتقاض على واقع اجتماعي ظالم يحميه التشريع القائم فعلى المشترك ان يعرف ماهي القوى الاجتماعية المعاكسة التي تفيد من بقاء هذا الواقع الاجتماعي والتي تبذل جهـدها للاحتفاظ به والاستمرار فيه .

ولذا فالتشريع ينطوي على قوتين متعارضتين متصارعتين قوة سكون واستقرار وجمود ومحافظة تدعو الى اقامة نظام حقوقي ثابت متسق والى دعم النظام الاجتماعي الراهن واقراره والباسه لباس المشروعية وحمايته من عبث العابثين ، وقوة حركة وتطور وتقدم تستلزمها تقلبات الحياة الاجتماعية ، وتحولات علاقات الافراد ورغائبهم وحاجاتهم ـ وهذه القوة المتحركة المولدة ترمي الى بلوغ مثل اعلى في العدل والعدل ليس واقعاً يمكن تدوينه في صلب قالب معين ، ولكنه مثل اعلى يجهد المشترع نفسه لبلوغه وتحقيقه عند تحديد العلائق الاجتماعية ، وتعيين قواعد سلوك الافراد والجماعات .

فالاستقرار او السلم او الامان الحقوقي كما يسميه بعضهم هو اذن اولى القيم الاجتماعية التي يهدف التشريع الى تحقيقها في المجتمع منذ ان كان التشريع وكان المجتمع انـه قوام الحياة الاجتماعية ، وشريطة لازمة من شرائط وجودها واستمرارها بل هو الركيزة الكبرى لانطلاق الفعاليات الفردية والجماعية وانصرافها الى الاخذ باسباب السعي لكسب السعادة والى الانشاء والانتاج والتقدم . الامان الحقوقي هو اشاعة الاحساس بالسلم الاجتماعي بالامن بين الناس هو ايمان الفرد بالتحرر من الخوف وشعوره بالاطمئنان الى يومه وغده هو يقينه بانه سيد قدره وانه لا يضار

في سلامة شخصه ولا في حريته ولا في ثروته المادية والمعنوية لان جميع هذه المقدسات والحرمات هي في ذمة النظام الحقوقي وفي حمى القانون . الامان الحقوقي بكلمة موجزة ، هو توطيد دعائم السلم والنظام والامن والاستقرار والطمأنينة في المجتمع .

ويكتسب التشريع هذه الفضيلة الكبرى فضيلة السلم والامان الحقوقي والاستقرار الاجتماعي بالوضوح والدقة والسهولة والانسجام، فليس ادعى الى قلق المواطن واغتمامه ولا اقرب الى تعسف الحاكمين من غموض القوانين وتعقيدها وتشعبها وهلهلتها واضطرابها . ومن شرائط حصول الطمأنينة والاستقرار والسلم الاجتماعي ان يشعر المواطن بان التشريع القائم انما هو تعبير عن رغائبه وحاجاته ونظرته في الحياة وفي السلوك البشري ولاسبيل الى غرس مثل هذا الشعور الا اذا اقتنع بان القوانين انما تصدرها السلطة صاحبة حق التشريع وانها تصدرها بوحي من نفسها لا بوحي من غيرها وانها تسن قواعدها مستلهمة وجدانها الحقوقي كسلطة آمرة مسؤولة ، وانها لاتستلهم افرادا وجماعات غير مسؤولين ، ولاترمي من ورائها الى حماية مصالح فئة او ايذاء مصالح فئة اخرى ، فليس ثمة ادعى الى اضطراب المجتمع وانهيار النظام الحقوقي وضياع حرمته من النفوس من ارتياب المواطنين في مشروعية السلطة التي تصدر عنها القوانين والانظمة والقرارات وشكهم في سلامة وجدانها الحقوقي .

وقد تقتضي سلامة الامة وحماية مصالحها العليا التنكب عن هذه القواعد في العهود الانقلابية او الثورية عندما يتمخض المجتمع عن نظام حقوقي جديد يعبر عن قيم جديدة ووقائع اجتماعية جديدة . ولكن من الخير كل الخير لمثل هذا المجتمع وافراده ان لايطول امد المخاض ، وان يعجل بخلق الصيغ الجديدة لتوازن القوى الاجتماعية وتنسيق مصالح الافراد والجماعات وسن القواعد لتحديد اختصاصات السلطات وعلاقاتها بعضها ببعض على ضوء القيم الاجتماعية الجديدة التي اسفر عنها المخاض .. وليس الاسراع في تحقيق هذا الهدف شرطا من شروط النجاح والاستقرار والديمومة فحسب ، وانما هو ايضاً ، وفي الدرجة الاولى ، قاعدة أساسية من قواعد الحكم الصالح الذي يرمي الى الاحتفاظ بوحدة الامة وسلامتها وصيانة مصالحها الكبرى



ولكن الامان الحقوقي ـ هذه القيمة الاجتماعية التي تستهدفها القواعد الحقوقية ـ بجميع مايستلزمه من اشاعة الشعور بالامن والطمأنينة والاستقرار وتوطيد دعائم السلم والنظام ، قد لايكفي وحده لبلوغ الغاية من التشريع مالم يقترن بقيمة اجتماعية اخرى ، الا وهي : العدالة .

واية فائدة تجنيها الامة او المواطن ، او يجنيها المجتمع او الفرد من الحفاظ على الامن وتحقيق السلم والاستقرار ان لم يشعر الجميع افرادا وجماعات بعدالة النظام الاجتماعي الذي يرمي التشريع القائم الى حمايته واستمراره ؟ فالعدالة اذن في تاريخ تطور الحقوق في العالم ، هي مفهوم « ديناميكي » يدعو الى الثورة على كل وضع راهن ظالم ، وان اقره التشريع القائم ، ولا بدع في ذلك ، فان توخي العدالة يقضي دوما باعادة النظر في الاسس التي ترتكز عليها المؤسسات الاجتماعية ، وتعديل التشريعات التي تعمل على ابقائها تعديلا يزيل عنها مظالمها ويمحو مساوئها . ومهما اختلف رجال القانون والاجتماع والاخلاق في تعريف العدالة ، وتعيين مضمونها ، فانهم متفقون على التفريق بين : عدالة التعامل ، وعدالة التوزيع .

فالعدالة في التعامل ، او عدالة المعاوضة كما يقول عنها ارسطو ، هي ماعبر عنه مفكرو القرن الثامن عشر بالمساواة امام القانون . وتتجلى العدالة في حيز السلوك الاجتماعي بمفهومي المسؤولية والحرية ، ولا سيما حرية التعاقد ، وتدعى في السياسة بالمذهب الحر وفي الاقتصاد بالمذهب الفردي . فهي اذن عدالة فردية لاتهتم بتنسيق العلائق الاجتماعية وتنظيمها قدر اهتمامها بمنح الافراد في فعالياتهم الاجتماعية اكبر قسط ممكن من الحرية .

اما العدالة في التوزيع فهي العدالة الاجتماعية ولها ركنان : اولهما تكافؤ الفرص وما ينجم عن هذا المبدأ من تشريعات تهدف الى محو الفوارق والامتيازات المصطنعة الناجمة عن غير الكفاءة ، وترمي الى تساوي جميع الافراد في نقطة الانطلاق.
واما الركن الثاني فهو : انتقاء الانسب واحترام الكفاءات ، ومعنى ذلك ان يتمتع كل فرد من خيرات المجتمع الذي ينتمي اليه بالنصيب الذي تؤهله له قابلياته وكفاءاته ، وقديما قيل : الويل للمجتمع الذي يسود عليه اشراره ويقصي عنه اخياره . والنظام الاجتماعي العادل هو ذلك الذي يسمح للصفوة من

ابنائه ، وللصفوة ، وحدها ، ان تتولى مناصب الصدارة في قيادة المجتمع وتوجيهه . وكل تشريع يرفع غير الصفوة ، ويقيس بغير مقياس الكفاءة ، ويصد العبقريات عن مصاعدها ، ويعيق النخبة عن القيام برسالتها والشعور بمسؤوليتها ، ويلهب بالحرمان والخيبة نفوسها ، لا يمكن اعتبـــاره تشريعاً ظالما فحسب ، وانما هو ايضاً تشريع خطر ينسف قواعد سلامة المجتمع من اساسها ، وتغدو اجهزة الحكم في ظله فما يلتقم ويدا تنتقم . والعدل الاجتماعي وحده هو الذي يؤمن للامة غنيها وفقيرها كبيرها وصغيرها هذا القاسم المشترك الذي لاغنى عنه لسلامة وحدتها ، وتمتين اواصر ابنائها ، واستمرار بقائها .

ومن البدهي ان نتساءل الآن : لماذا نريد من التشريع ان يحقق النظام والامن والسلم والاستقرار والطمأنينة ، وان يسعى الى اقامة قسطاس العدل ؟ وماذا وراء ذلك كله ؟

انه التقدم الاجتماعي الذي ينم عن توق الانسان الدائم الى بناء مجتمع افضل ، وحياة رغدى ، وعالم امثل . وعلى التشريع ان يسعى للتعبير عن هذه القيمة الاجتماعية والانسانية في القواعد التي يضعها . وليس حفظ النظام والاستقرار والسلم والعدل الاجتماعي الا وسائل تهدف الى تمكين الافراد والجماعات من التفرغ للتسامي بالقوى الانسانية الى أقصى امكانيات الازدهار والتفتح والانطلاق . والا فاية قيمة للامان والعدل في مجتمع لامجال للتسامي فيه ، ولا يبيح لافراده وجماعاته مسايرة الركب الانساني ، والمساهمة بقسط متواضع في بناء المدنية — هذا التراث الانساني المشترك الذي يحقق للانسان انسانيته ، وللشعوب ازدهارها ورفاهتها واتساقها .

والخلاصة : السلم الاجتماعي والعدل الاجتماعي والتقدم الاجتماعي — تلكم هي القيم الاجتماعية الكبرى التي تجعل من التشريع الناظم الاكبر للعـــلاقات الاجتماعية ، والمهندس الاعظم في تنسيق جهوده الافراد والجماعات والشعوب ، وتحقيق تعاونها لاقامة صرح المدنية الحديثة وبلوغ الانسانية مرتبة الكمال حيث التمتع المطلق بقيم الحق والخير والسلام والحرية .

الدكتور محمد الفاضل

الكبرياء ...

شعر

رفيق الخوري

الكبرياء ..
والعنجهية في عيونك .. والاباء
آفاقك الزرقاء تحلم بالعلاء
فتشت عنها في عناء
هذا المساء ..
فتشت عن آفاقك الزرقاء .. عن لون الربيع
عن لون عينيك الوديع
فتشت عن احلامك الشهاء ما بين الجموع
في حفلة العرس السريع
مسكينة هذي العيون .. يضيع لون الكبرياء
في همسها .. وتضيع أشرعة الغرور ..
فاذا الاباء ..
والكبرياء ..
هلعت وراء المال تلهث في حياء
خلف الاساور والفساتين الجميلة والرياش
ركعت تصلي في ارتعاش

المثنى — رفيق الخوري

أرى الغدر ضداً للوفاء

للحسين بن الضحاك

هويتكم جهدي ، وزدت على الجهد ولم أر فيكم من يقيم على العهد
فان أمس فيكم زاهداً بعد رغبة فبعد اختبارٍ كان في وصلكم زهدي
لعمري لقد اغضيت فيكم على التي تجرعني المكروه من غصص الحقد
تأبيتكم بقيا الصديق لتقصدوا وتأبون الا ان تجوروا عن القصدِ
تعزوا بيأسٍ عن هواي فانني اذا انصرفت نفسي فهيهات ردي
أبى القلب الا نبوةً عن جميعكم كنبوتكم عني ففي السحق والبعد
أرى الغدر ضداً للوفاء ، وانني لأعلم ان الضد ينبو عن الضد
اذا خنتم بالغيب عهدي فما لكم تدلون ادلال المقيم على العهد
صلوا فافعلوا فعل المدل بوصله والا فصدوا وافعلوا فعل ذي الصد
فكم من نذير كان لي قبل فيكم وهأنذا فيكم نذير لمن بعدي
فوا أسفا من صبوةٍ ضاع شكرها مضت سلفاً من غير أجر ولا حمد

« شوال » أموي

لاحد شعراء بني أمية

أبني لؤي قد رأيت ظباءكم يبدين من خلف الستور بدورا
تأبى الروادف والثُدي لقُمصها مس البطون وان تمس ظهورا
واذا الرياح مع العشي تناوحت نبهن حاسدة وهجن غيورا

الكمنجة المحطمة

لايليا أبو ماضي

شاهدتها كالميت في اكفانه		فوجمت الا عبرة أذريهــا
مهجورة كسفينة منبوذة		في الشط غاب وراءه ماضيها
نسجت عليها العنكبوت خيوطها		وكسا الغبار غلالة تكسوها
لاحس في أوتارها لاشوق في		أضلاعها لاحسن في باقيها
فارزح بحزنك يا حزين فانها		لا تنشر الشكوى وتطويها
واذا انتهى عهد التعلل بالمنى		فالنفس يشفيها الذي يرديها

. . .

يا صاحبي وفي حنايا أضلعي		هم يكظ الروح بل يدميها
ان التي نقلت حكايات الهوى		لم يبق غير حكاية ترويهــا
كمدينة دك القضاء صروحها		دكاً وكفن بالسكوت ذويها
نعيت فريع الفجر وارتعش الدجى		ما كان أهونها على ناعيها
لا تعجبا في الغاب من نوح الصبا		وعويلهــا ان الصبا ترثيهـا
لو تسمعان نجيها متمشياً		كالسحر في الارواح يستهويها
لعلمتما أن القضاء اغتالها		كيلا تبوح بكل سر فيها

الديوان السجين

بقلم : سليمان العيسى

كان العهد البائد في العراق يكافح كل كلمة حرة ويحرمها على الناس . وكان ديوان الشاعر من هذه المحرومات ..

كانت مجموعة اشعار
عطشى للحب ، وللنار
فيها زفرات الاحرار
وطلائع فجر من نار
كانت مجموعة اشعار

●

كلمات لا تؤذي أحدا
كتبت بجراحات الشهدا
وأماني اخوتنا بددا
تمضي ، فتكون لهن صدى
كلمات .. لا تؤذي احدا

●

ماذا في الحرف المسطور
كي يرهب اعداء النور ؟
عجباً .. للذئب المسعور
والغاب رهيب الديجور
ماذا في الحرف المسطور ؟

●

الرعب الاسود ، والقتل
والسيف المصلت ، والنصل
والجند الشاكي .. والغل
في قلب الظلمة ينسل
عبثاً .. فالفجر سينهل

●

عبثاً . يتمطى الارهاب
ويجد النبع المنساب
ويكف الموج الوثاب
للبلبل والنسر الغاب
والعاصف ماض غلاب !

●

وتخطى الديوان البيدا
ليصافح اخوته الصيدا
والشط ، ولحناً عربيدا
وشراعاً حلواً ممدودا
يتحدى الاغلال السودا

●

وعلى كلمات تتقد
أهوت في ظل الصمت يد
وتراءى طرف يرتعد
ماذا ؟ العاصف يحتشد
وغد ، ملك الاحرار غد

●

واشاح اجير الطغيان
للموت أغاني الديوان
للموت .. حديث البركان
والفجر الملتهب الداني
ونذير الافق بطوفان

●

وتوارت في الكهف الاغبر
مجموعة الحان تزأر
واللفظ كصاحبه يؤسر
ويهان ، ويصلب ، لا يقهر
أبداً لا يهزم ، لا يقهر

●

أعرفت سجينك بغداد ؟
تنهال عليه الاصفاد
ويهز السوط الجلاد
فعلى الارجوعة اوصاد
ولكل وميض مرصاد

●

وتشق الدرب أغانينا
وتهز السجن كما شينا
الثورة تزحم وادينا
الشعب يموج براكينا
واللفظ الثائر حادينا

●

بغداد .. صباح الثوار
فوق النجوى والاوتار
تتخطى حلم القيثار
دفعات سناك الهدار
آمنت بالزحف الاعصار

●

آمنت بغضبتك الحره
وينابيع الفجر الثره
وعناد الآلام المره
يطوي البركان بها سره
آمنت بأرضي ، بالثورة

●

ضمي في الموكب ديواني
تسكر في عرسك الحاني
ألنخلة ، والشط الواني
وشعاع غروب نشوان
والجسر الحلو انساني ؟

●

ضميني أبياتاً سكرى
ألموجة حطمت الاسرا
لترف على الدنيا نصرا
غناها ديواني شعرا
وأذاب لعينيها العمرا

●

ها انت على شفة العيد
يا احلامي ، وأنا شيدي
يا ذوب الانات السود
ووميض الفجر الموعود
يا اشعاري واناشيدي

●

قولي لزفاف الحرية
لسياج الارض العربية
في القيد بقايا أغنية
فلنهدر صرختنا الحية
تجتاح الارض العربية

حلب ــ سليمان العيسى

الثقافة الحقيقية

بقلم

رفيق المقدسي

لقد كتب كثيراً قديماً وحديثاً عن الثقافة ، وكانت الآراء جميعها متقاربة حول هـذا الموضوع الخطير في حياة الافراد والجماعات والامم ، ولكن من يتتبع هذه الابحاث يجدها كلها تقريبا متشابهة في مقدماتها ونتائجها وهي ان الثقافة تنتج انساناً متعلماً يدرك حقوقه ويعرف واجباته مزوداً بالعلم والمعرفة هذه هي النظرية الكلاسيكية للثقافة وهي النظرية التي لاتزال سائدة بشكل عام يعتقد الكثيرون انه لايقبل الجدل والنقاش لانها نظرية مقرره أصلحطت عليها المعاهدالعلمية واخذ بها المجتمع وهي نظرية صحيحة من حيث أصولها وأهدافها ولكنها ليست صحيحة كل الصحة اذا ماقورنت بمواهب الرجولة ونزعات المثل العليا التي تهز أعماق الحياة الاجتماعية والفكرية في الافرادوالامم والتي كان لها الفضل الكبير في قيام الثورات السياسية والانقلابات الاجتماعية وفي جميع ميادين الرجولة الحقة عبر ازمنة التاريخ جميعها .

فالثقافة ، بمفهومها السائد في اذهنة الناس ، هي التحصيل العلمي وكلما ارتفعت مرتبة التحصيل كلما ارتفعت السوية الثقافية فحامل الشهادة الابتدائية مثقف أكثر ممن لايحملهـا ، وحامل الشهادة المتوسطة مثقف اكثر من حامل الشهادة الابتدائية ، وحامل البكالوريا مثقف اكثر من الاثنتين ، وحامل الليسانس من الجامعة مثقف أكثر من هؤلاء جميعاً ، وهذا هو الاصطلاح السائد الآن ، ليس بين الجماعات البشرية فحسب بل وبين المتعلمين و اصبح هذا المفهوم تدعمه القوانين وتقره الشرائع ، وهذا كله صحيح اذا نظرنا الى الثقافة على انها حشد الذهن بالمعلومات والتزود بالمعارف ، ولكنه ليس صحيحاً اذا تجردنا من التأثر بالمفهوم السائد ومن التقيد بمراتب الشهادات التي دخلت الى مجتمعنا بصورة آلية ، وكان دخولها شيئاً حتمياً لابد منه لمجاراة الركب العالمي في التطور نحو اقتباس العلوم والمعارف .

وليس غرضنا ان ننتقد الشهادات او الرتب العلمية فهي شيء ضروري لابد منه وليس بالامكان ابدع مما كان ، ولكننا نريد ان نفرق بين الثقافة والمرتبة العلمية لانها شيآن منفصلان على خلاف مايعتقد الكثيرون ، وقد يتمم واحدهما الآخر ، بل ان واحدهما ضروري للآخر لايمكنه الاستمرار بدونه ، ولا الابقاء على قيمته الروحيـة والفكرية اذ سار لوحده في صخب الحياة الاجتماعية وضجيجها فالثقافة شيء والمرتبة العلمية شيء آخر ، واذا اردنا ان نحصر الثقافة بالمراتب العلمية لاخرجنا جمهرة كبيرة من أذكى رجال الامة واقدر ابنائها واكثرهم سحراً فكريا من مرتبة المثقفين ، ولحصرنا الثقافة بحملة الشهادة الابتدائية وغـيرها من المراتب العلمية ، ولا اعتقد ان اي تقليد سليم يقر هـذا لأن المراتب العلمية ينالها أصحابها بالدرس والدوام وممارسة التحصيل ينالونها بالحفظ والاستظهار ، وبالتفكـير والتحليل أحياناً ، ولايشترط فيهم كما لايطلب منهم ، ان يأتوا بالعجائب ولا بابداع المعجزات ، فهم قوم قد تعلموا اشياء معينة ، قد يتقنونها وقـد لايتقنونها ، كما هو ثابت ومعروف ولايستطيع احد ان يلومهم لأن سوية تحصيلهم او مرتبتهم العلمية لم تزودهم الا بذلك سيما وقد كانت المرتبة العلمية هي هـدفهم لانها قوة قانونية لهم في الحياة الاجتماعية ، فهم في المرتبة يستطيعون ان يؤمنوا العمل وان يحملوا اللقب العلمي الذي نالوه بنتيجة الدراسة .

اما الرجل المثقف ثقافة حقيقية فهو على خلاف ذلك تماماً فهو لايهدف الى المرتبة العلمية ، وليست هي القوة الوحيدة التي يعتمد عليها في الحياة الاجتماعية ، فهو يعرف ان الثقافة نور من شأنه ان يستضيء به الآخرون وكلما استضاء به غيره زاد اشعاعاً وزاد مضاء لان الثقافة بما فيها من قيم خلقية وروحية وجدت لترث من ينبوع هذه القيم جميع معـاني السمو على البيئة التي تعيش فيها فهي تعطي ولاتحاسب وتشع دون ان تنطفي وتزداد مضاء كلما تكاثرت في وجهها الصعاب وازدحمت العقبات ، لان الثقافة هي القوة المعنوية التي تدفع البشرية بأسرها صعداً في سلم التطور والكمال .

وهكذا فان الرجل المثقف قد لايحتاج الى المرتبة العلمية مطلقاً فله من القيم الروحية والفكرية مايغنيه عنها ، أما حامل المرتبة العلمية فلا غنى له عن الثقافة الحقيقية ، لأن المرتبة العلمية لوحدها هي عبارة عن وثيقة مكتوبة لدرجة معينة من التحصيل وهذه الدرجة العلمية مهما سمت فهي لاغني لها عن الثقافة الحقيقية لان الشهادة هي بمثابة الروح الحي الذي لايكون للجسم اي قيمة بدونه .

ولعلك تقول ماهي هذه الثقافة الحقيقية التي تقصدها وماهو لونها ، او كيف نراها ونتعرف اليها في هذه الدنيا التي اكتظت بمختلف الوان المعرفة والنشاط الانساني !

وللجواب على هذا نقول انه من الصعب جدا على من لايقدر قيمة الثقافة ان يمسها او يتأثر منها او يتعرف اليها ، وليس هنالك شيء اسهل على من يحس جمال الثقافة ويرى شروق وجهها وصفاء غاياتها من ان يتعرف اليها ويراها أمامه في المـــنزل والشارع والمدرسة وفي كل زاوية من زوايا الحياة الاجتماعية ، فالثقافة الحقيقية هي نزعة سامية تخفق بها اجنحة الرجل المثقف ، هي نزعة لخدمة بني قومه أولاً ولخدمة الانسانية ثانياً ، هي صدق في القول ، ووضوح في الآراء ، وجهر بالحق ، والدفاع عن المظلوم ونصرة الضعفاء والبر بالمساكين ، واحترام الآخرين ، والتغلب عن طريق الشرور والآثام ، ونقاوة اللسان ، وطهارة الوجدان والسعي للخير في السر والعلن .

وفي التاريخ امثلة حية على قوة الثقافة وبالغ اثرها في حياة الشعوب ، فان جميع الثورات السياسية والانقلابات الاجتماعية والابتكارات العلمية قام بهـا رجال مثقفون ، ولو اراد هؤلاء ان يكتفوا بالمراتب العلمية التي يحملونها وناموا على هذه المراتب اطمئناناً لما تقدمت الانسانية فيه خطوة الى الامام ، بل جعل هؤلاء المثقفون المراتب العلمية وسيلة لاغاية ، وسيلة الى الكمال ولم تكن هي الكمال بذاته ، جعلوها وسيلة الى العلم ولم تكن هي العلم بذاته ، جعلوها وسيلة للرقي ولم تكن هي الرقي بعينه جعلوها وسيلة للاصلاح ولم تكن هي بذاتها اصلاحاً .

ولن اقف عند هذا ، بل اريد ان اضرب لك امثلة بسيطة على ذلك واريد ان يحكم القارىء على قيمة الثقافة الحقيقية في الحياة الاجتماعية ، فمن تحترمه او تنظر اليه نظرة اعجاب اكثر ؟ العامل البسيط الذي لم يتعلم العلوم الكافية ولكنه رجل نشيط مجد صادق أمـين ، ذو خلق قويم جريء في قول الحق والجهر به ، او تحترم عالماً يحمل مرتبـة علمية كبيرة ولكنه لا يصدق في القول ولا يغار على مصـــالح الناس وينكث اليوم ماوعد به بالامس لاشك انك تحـــترم العامل لانه في هـــذا العامل البسيط تتمثل الثقافة الحقيقة ، وبالتالي تتمثل الانسانيـــة بأسرها .

ومن هنا نتبين ان الثقافة الحقيقية شيء والمراتب العلمية شيء آخر ، واذا خلت المرتبة العلمية من الثقافة انحطت الى مستوى الجمود ولا خير فيها الا ما يجول في ذهن صاحبها . أما الثقافة فهي النور الذي يضيء الطريق امام الخلائق البشرية التي تسير في الدنيا على هدى هـــذا النور المشرق الوضاح .

فالثقافة اذن فوق المرتبة العلمية ، والجرأة أسمى من النبوغ والبطولة أسمى من العبقرية .

دمشق — رفيق المقدسي

حب

شعر

السيدة عزيزة هارون

يحبني واستيقظت دنيا بقلبي غافيه
يحبني وانتشر الورد على اردانيه
وعدت من فرحة قلبي طفلة في ثانيه
انا التي احبه احلامه احلاميه
اسكب فيه لهفتي فتنتشي الحانيه
وارشف الاسم الذي يعيش في اعماقيه

لاتغرقي في الزنبق — يابدعة القلب الشقي
هتف الصبا بالرونق — وسموت بالحب النقي

في مقلتيك جراح قلب مرهق
هل نلتقي ؟
يابسمة الحلم الملح تعلقي
في زورقي
لن تغرقي
ولم ارتعاشك في الفضاء الازرق
هل في سمائك نجمة لم تحرق

غزيزة هارون

أغنية ثائر

شعر

كريم أحمد



زحفوا يبغون ارضاً ،
هي ارضي .
زحفوا يبغون بيتاً ،
هو عرضي .
وهناك .
في سهول الباطنه .
احرقوا النخل ، احالوها خرابا .
وسفوح الاخضر .
وعلى القمة اسد تزأر .
ونسور حائمه .
ترقب السفاح يختال بفخر .
ظنه نصر مبين .
لن ينتصر ..
لن نستكين ..
والدماء الثائره ،
والجموع الهادره ،
ترقب الليل الحزين .
سنقاتل .
سنقاتل . قالها عنا جمال
سنقاتل .
سنقاتل . رددا لكل هتافة
سنقاتل .
سنقاتل . كلنا يهوى القتال
وتمنطقنا جميعاً بالسلاح .
وانتظرنا ،
ظلمة الليل الكثيفة
كي نثور
كي نطهرها عمان
من صعاليك الفرنجة
من دخيل
من عميل .
ومن الربوة والوادي التقينا
في الشعاب ، والهضاب
وانحدرنا كالصواعق .
وهتافات تجلجل
ايها التاريخ سجل
ثورة الشعب الابي
والتحمنا ،
بالدخيل ،
وتغنت بالبطولات المدافع .
والشظايا .
والرصاص ..
ورجعنا في الصباح .
بالغنيمة .
باهازيج الكفاح
وعلى اسوار نزوى ،
وقلاع الظاهره ،
سجل الشعب بيانه .
بالرصاص
لاخلاص .
للدخيل الغادر .

الكويت — كريم احمد

في بلد غريب

تعريب

جورج سالم

في الخريف ، كانت الحرب لاتزال قائمة ، بيد أننا توقفنا عن خوض غمارها ، كان الطقس بارداً في ميلانو والليل يهبط سريعاً ، فتضاء المصابيح الكهربائية آنذاك ، وان لمن المستطاب ان يتلكأ الانسان في الشوارع وهو ينظر الى واجهات الدكاكين كان ثمة صيد وافر معلق في واجهات المخازن والثلج ينتثر فوق جلود الثعالب التي يحرك الهواء اذنابها . وكانت الابل المفرغ جوفها قد علقت متصلبة وثقيلة والعصافير تتأرجح في الهواء وهو يرفع ريشها . ان الهواء ليهبط من الجبال ، وكان الخريف بارداً .

كنا نمضي الى المستشفى بعد الظهر من كل يوم ، وكان هناك مسالك مختلفة تفضي بنا اليه ، اذ نجتاز المدينة عند الغسق وان اثنين منها يحاذيان الاقنية ولكنهما كانا طويلين ، ومع ذلك فقد كنا نضطر آخر الامر الى اجتياز جسر فوق الترعة قبل ان نصل الى المستشفى . كان لنا ان نختار احد الجسور الثلاثة كانت تقف فوق أحدها امرأة تبيع الكستناء المشوي ، كنا نستحسن الوقوف امام الفحم المشتعل في فرنها ، بينما تحافظ الكستناء على حرارتها في قعر جيوبنا .

كان المستشفى قديماً جداً . وجميلا جداً . يلج اليه المرء من باب ضخم كبير ، ثم يجتاز باحة ويعود فيخرج من باب آخر . وفي معظم الاحيان ، كانت تلتئم الجنازات في هذه الباحة هذا وقد انشئت خلف المستشفى القديم اجنحة جديدة من الاجر ، كنا نلتقي بعد الظهر من كل يوم ، فنجلس مستسلمين الى الاجهزة التي كان عليها ان تغير شكلنا ، وملؤنا الاهتمام بما يحدث حولنا .

اقترب الطبيب من الجهاز الذي جلست فوقه وقال لي :

ـ اما النشاط الذي كنت تفضل ممارسته قبل الحرب ؟ هل كنت تمارس الرياضة ؟

فأجبته :

ـ نعم كنت ألعب بكرة القدم .

قال :

ـ حسناً ، لسوف تعود الى اللعب بكرة القدم وبأفضل مما مضى .

كانت ركبتي متصلبة ، وغدت ساقي متدلاة من الركبة حتى الكعب ، ولم يعد لي من ربلة ، وكان على الجهاز ان يعيد الى ساقي مرونتها ، اذ تجعلها تتحرك وكأنها فوق دراجة ذات ثلاثة دواليب . ولكنها لم تكن قد بلغت بعد مرحلة تنثني فيها ، بل على العكس ، فان الجهاز كان يتوقف فجأة وهو يقوم بتحريك المفاصل . وكان الطبيب يقول لي : « سيمضي كل هذا ، انت محظوظ ، ستعود فتلعب بكرة القدم كما يلعب الابطال .

كان يجلس على الجهاز المجاور ميجر ذو يد صغيرة كأنها يد طفل رضيع ، فرمقني بطرف عينه حين فحص الطبيب يده الموضوعه بين شريطين من الجلد ، يقفزان من الاعلى الى الاسفل ضاربين الاصابع المتصلبة ثم سأل الطبيب قائلا :

ـ وانا ، هل ألعب بكرة القدم ايها الملازم الطبيب ؟

لقد كان من اكبر لاعبي السيف قبل الحرب . بل كان بطل ايطاليا في المبارزة .

مضى الطبيب الى غرفته ليحضر منها صورة تظهر فيها يد يابسة صغيرة كيد الميجر وصورة اخرى ليد غدت اكبر منها بعد العلاج . امسك الميجر الصورة بيده السليمة وفحصها بانتباه شديد ثم سأل الطبيب .

ـ هل هذا جرح ؟

فأجابه الطبيب :

ـ انها اصابة وقعت اثناء العمل .

قال الميجر :

ـ حسناً ـ حسن جداً ، حسن جداً .

ثم اعاد الصورة الى الطبيب ،

ـ هل وثقت بذلك ؟

قال الميجر :

ـ كلا .

كان يأتي الى المستشفى كل يوم ثلاثة فتيان في مثل عمري تقريباً . وكانوا كلهم من ميلانو . رغب اولهم ان يكون محامياً وطمح الثاني لأن يكون رساماً واراد الثالث ان يتطوع في الجيش كنا نمضي معاً في بعض الاحيان الى مقهى (كوفا) بجانب (سكالا) حين ننتهي من امر الاجهزة وعملها فينا .

فنسلك الطريق الاقصر ، مجتازين الشارع الشيوعي لاننا كنا اربعة .

كان الناس يحتقروننا لأننا كنا جنودا . وكان بعضهم يصرخ اثناء مرورنا من داخل احد الملاهي : « فليسقط الجنود ! »

كان ينضم الينا نحن الاربعة بعض المرات فتى آخر ، وكان هذا الفتى يضع منديلا من الحرير الاسود على وجهه لأنـه فقد انفه ، وكان عليهم ان يعيدوا صنع وجهه ، لقد مضى هذا الفتى الى الجبهة فور تخرجه من الكلية العسكرية واصيب بجرح بعد ساعة من وصوله الى خط الدفاع . وهاهم اولاء يعيدون صنع وجهه . كان ينحدر من اسرة قديمة وعريقة ولم يوفق الاطباء الى اصلاح انفه اصلاحاً تاماً . ومضى هـذا فيما بعد الى اميركا الجنوبية ليعمل هناك في مصرف من المصارف .

ولكن كل هذا حدث قبل ذلك بزمن طويل ، ولم يكن بيننا من يعرف المصير الذي ستتخذه الحوادث كنا نعرف شيئاً واحداً هو ان الحرب لاتزال قائمة ، واننا لن نعود اليها ابداً .

كنا جميعاً نحمل شارات عسكرية متشابهة الا الفتى ذا الربطة الحريرية السوداء ، فانه لم يكن قد قضى فترة طويلة كي يستحق الشارات . اما الفتى الكبير الذي كان يريد ان يصبح محامياً فقد كان برتبة ملازم . وكان يعلق ثلاثة شارات من شارات الخدمة بينما لم يكن لكل منا الا شارة واحدة منها . لقد عاش طويلا في تماس مع الموت وكانت صلته بالعالم واهية . كنا جميعاً على صلة واهية بالعالم وان تفاوت حظنا في ذلك . ولم يكن يربط بيننا سوى التقائنا اليومي في المستشفى ومع ذلك، فحين نعود الى (الكوفا) مساء فنجتاز الشارع السيء السمعة في المدينة ، وسط الاضواء والاغاني التي تنبعث من الملاهي ، ونسير فوق الارض المرتفعة من الشارع لكي لانصدم الرجال والنساء الذين احتشدوا على الارصفة اثناء مرورنا . كنا نشعر آنذاك بأن هناك مصيراً مشتركاً يشد بعضنا الى بعض، وان هؤلاء الناس الذين لايحبوننا لايستطيعون ان يفهموا ذلك .

كنا جميعاً نعجب (بالكوفا) بسبب اضوائها الضعيفة ، كانت بيئتها غنية ومزدهرة وصاخبة ، تعج بالدخان احياناً ، وان المرء ليجد فيها دائماً فتيات جالسات الى الطاولات ، ومجلات على الرفوف ، كانت فتيات (الكوفا) مخلصات لوطنهن احسن الاخلاص . وهكذا ادركت ان اكثر الناس وطنية بـين الايطاليين كانوا من اللواتي يبعثن الحركة في النفوس ، ولقد بقين كذلك دائماً .

نظر رفاقي الى شاراتي اول الامر بشيء من الاحترام ثم سألوني كيف حصلت عليها ، فأطلعتهم على اوراقي الثبوتية وقد كتبت بلغة رفيعة جداً ومفعمة بـ « الاخوة » و « الاخلاص » ولكنها كانت تعني في الحقيقة ، اذا ما استثنينا النعوت ، انني منحت هذه الاشارات لانني كنت امريكياً .

وظللت ارى رأيهم فيما يتعلق بالاجانب الا ان موقفهم مني تغير تغيراً طفيفاً منذ الحين ، كنت صديقاً لهم ولكنني لم استطع ان اكون واحداً منهم بعد ان قرأوا اوراقي، ذلك بأن تجاربهم كانت تختلف عن تجاربي في هـذا الموضوع . اذ انهم استحقوا شاراتهم لاسباب تختلف تماماً عن اسبابي . لقد جرحت وهـذا صحيح ، ولكننا جميعاً نعلم ان الجراح ليست في آخر الامر سوى حادث يحدث . ومع ذلك فانا لم اخجل من شاراتي، بل كنت اتخيل نفسي بعـد ان اشرب الكوكتيل انني قمت انا الآخر بالاعمال المجيدة التي جعلتهم يستحقون شاراتهم ، ولكنني اذ اعود في المساء ، في الهواء البارد عبر الشوارع الموحشة ذات المخازن المغلقة وانا احاول ان اقترب اكثر مااستطيع من المصابيح الكهربائية ، كنت اعلم ان لم يكن باستطاعتي ابداً ان اقوم بمثل تلك الاعمال العظيمة وكنت افرق من الموت . وفي المساء كانت فكرة الموت تتسلط علي وانا وحيد في غرفتي ، مستسلم لذاتي ، وكنت اتساءل ماذا عسى ان افعل حين اعود الى الجبهة ،

كان الفتيان الثلاثة ذوو الشارات يشبهون حيوانات في الصيد ومن المحتمل ان ابدو انا ايضاً واحداً منهم في نظر من لايعرف شيئاً عن شكل الصيد ، ولكن ذلك ليس الا امراً ظاهرياً ، اذ ان الرجال الثلاثة لم يكونوا مخطئين في نظرتهم الي ، وانتهى الامر بيننا بأن افترقنا .

ولكنني بقيت صديقاً للفتى الذي جرح في اليوم الاول لدخوله المعركة ، لانه لم يكن يعرف ماذا سيحصل له ، لو بقي في المعركة ؛ كان الباقون يتجنبونه ، وكنت احبه حباً جمـاً لاعتقادي ان هذا الفتى قد لا يتحول الى حيوان من حيوانات الصيد .

اما الميجر وقد كان من اكبر لاعبي السيف فلم يكن يؤمن بالشجاعة ، وحينما كنا نجلس فوق الاجهزة ، كان يقضي قسماً كبيراً من وقته في اصلاح اخطائي النحوية ، كان قـد امتدح معرفتي للغة الايطالية ، وكنا نتفاهم بسهولة ، ولكنني قلت له ذات يوم ان اللغة الايطالية لغة سهلة بحيث لم اشعر بحاجة الى الاهتمام بها ، اذ ان كل شيء يقال فيها بسهولة ، فأجابني الميجر :

ـ حقاً ؟ حاول اذن ان تحترم النحو .

وعندها رحنا نتعلم القواعد . واضحت اللغة الايطالية بعد ذلك لغة صعبة بحيث لم اعد اجرؤ ان اخاطبه حتى يأتي يوم احفظ فيه القواعد غيباً .

كان الميجر يأتي الى المستشفى بشكل مضطرد . وكنت اعتقد انه لم يكن ليتغيب يوماً واحداً . ومع ذلك فأنا واثق بأنه لم يكن يؤمن بهذه الاجهزة .

واتى حين لم يعد اي منا يؤمن بهذه الاجهزة ، بل ان الميجر اكد لي ذات يوم بأن كل هذه الاجهزة ليست الاضرباً من العبث ، كانت الاجهزة جديدة في تلك الآونة ، وكان علينا ان نقوم بدور الخنازير البرية . كان الميجر يقول : انها فكرة سخيفة ، انها نظرية لا اساس لها ترتكز عليه .

لم اكن قد حفظت درس القواعد هذا اليوم فوصفني بأنني ابله لا خير في تعليمي ، وقال انه كان غبياً حين اضاع وقته معي . كان شخصاً صغير الحجم ، وكان يجلس فوق كرسيه متصلباً ، ويده اليمنى موضوعة داخل الجهاز ، وعيناه مثبتتان على الحائط أمامه ، بينما تسقط الاشرطة الجلدية على اصابعه فتجعلها تقفز . سألني الميجر :

ـ ماذا ستصنع حين تنتهي الحرب . ثم اضاف : انتبه الى القواعد .

ـ سأعود الى اميركا .

ـ هل انت متزوج ؟

ـ لا ، ولكنني آمل ان اتزوج ذات يوم .

فقال لي :

ـ انت غبي كل الغباء .

وكان يبدو في حالة غضب شديد .

ـ يجب على المرء الا يتزوج .

ـ ولماذا ايها السنيور الميجر ؟

ـ لا تدعني سنيور ميجر ؟

ـ لماذا يجب على المرء الا يتزوج ؟

ـ لا يستطيع المرء ان يتزوج . لا يستطيع .

كرر هذا القول وهو غضبان ، ثم قال :

ـ اذا كان عليه ان يفقد كل شيء ، فيجب الا يكون في وضع يفقد فيه امرأة . يجب الا يكون في وضع يفقدها فيه . يجب ان يكتشف اشياء ليس الى فقدها من سبيل

كانت لهجته اليمة مرة . كان ينظر الى الامام وهو يتكلم ، وسألته :

ـ هل يجب ان يفقدها بالضرورة

واجابني الميجر وعيناه مثبتتان على الحائط :

ـ انه لا يستطيع الا ان يفقدها

ثم وقعت عينه على الجهاز فسحب يده الصغيرة من الاشرطة وضرب بهـا ساقه بشدة « انه لا يستطيع الا ان يفقدها » واوشك ان يصرخ « لا تجادل » ثم نادى المشرف على الاجهزة

ـ تعال اوقف هذا الشيء المزعج .

ثم مضى الى الغرفة المجاورة وهي غرفة مخصصة للتداوي الكهربائي والتدليك ، وسمعته يسأل الطبيب ان يسمح له باستخدام الهاتف ، ثم اغلق الباب . حين عاد كنت اجلس امام جهاز آخر ، وكان هو قد ارتدى معطفه واعتمر قبعته ، وسار نحوي تواً فوضع يده فوق كتفي :

ـ انني حزين جداً . ثم ربت بيده السليمة على كتفي واضاف :

ـ انني لم اتعمد ان اكون فظاً ، ان زوجي ماتت منذ وقت قريب ويجب ان تسامحني .

قلت آه ، وشعرت بغم عميق ، كم يؤسفني ذلك . .

ولبث هنا منتصباً ، وهو يقرض شفته السفلي .

قال : ان هذا لصعب جداً ، وليس في وسعي ان اصبر النفس على المصيبة .

كان ينظر أمامه عبر النافذة ، ثم بدأ يبكي ، قال لي وهو ينتحب : « انني لاعجز حقاً عن ان اصبر النفس على هـذه المصيبة . »

ومر من امام الاجهزة ثم خرج وهو يعض شفته ويبكي وعيناه في الفراغ ، والدموع تترقرق على خديه ، ورأسه عال في مشية متصلبة عسكرية .

وحدثني الطبيب بان زوج الميجر التي لم يتزوج منها الا بعد ان سرح نهائياً من الخدمة وكانت في ميعة قد ماتت بعد ان اصيبت بذات الرئة ولزمت فراشها أياما قليلة ، وانقطع الميجر عن المجيء الى المستشفى طوال ايام ثلاثة ، ثم بعد ذلك في ميعاده المحدد وعلى ثوبه الرسمي شريط اسود ، رأى الميجر حين عاد صوراً كبيرة لجميع انواع الاصابات قبل العلاج وبعده ـ معلقة في اطر على الحائط . كما علقت امام الجهاز الذي يجلس عليه الميجر ثلاث صور فوتوغرافية لايد تشبه يده وقد عادت سليمة كما كانت من قبـل ولست اعلم من اي وكر نبشها الطبيب . ولكنني فهمت دائماً اننا كنا الطليعة التي جربت عليها الاجهزة ، بيد ان الصور لم تؤثر في الميجر ابداً ، ذلك بأن عينيه بقيتا ابداً مثبتتين بالنافذة !

« ج . س »

موعد في رسالة

شعر

محمّد كناكري

شقيقتي الصغرى .. وما ذنبها
ياهاجر الآطياب والبرعم !
فان يكن .ما بيننا ، مثلما
يحدث بين الكأس والمبسم
فما جنت اختي ، لكيما ترى
وانية في حزنها ترتمي
من برهة ، ايقظني طيفها
بلثمة أشهى من البلسم
كنشوة تذوب في نشوة
وموسم يخطر في موسم
تقول لي بالجفن مغرورق
بلؤلؤ ذوب في عندم
ماباله من تحت شباكنا
قد مرّ ، لم ينظر ، ولم يبسم !
ماذاجرى ، دلال ، ماذاجرى
لم أجد الايضاح في معجمي !
لما تركت الدار لهفانة
سائلة عن امره المبهم
ماذاجرى ، دلال ، ماذاجرى ،
بالله بوحي ، اخت ، لاتكتمي
أجبتها ــ وامنا قد بدت
أمنا ــ : اختاه لاتسأمي

شقيقنا مازال في ذكرنا
يرنو لنا كالبدر للأنجم
لعله يأتي غداً .. واضعاً
(هدية الميلاد) بالمعصم !
وكفكفت امي من دمعها !
تقول : من يسل الهوى يندم !
وطوقتها مثلما طوقت
خصري ، ذراعاك ، ولم ترحم
تضمه .. تشد في قسوة
كأنما تقتص من مجرم
في ليلة كان بها موعد
لنا مع الآمال ياملهمي !
هناك في (دمر) في روضة
لها رياض الخلد قد تنتمي
لكنني في غمرات الهوى
ذكرت..والذكرى طفت في دمي
ولم أزل أصبو الى موعد
بالرغم مما يدعيه فمي

دمشق

محمد كناكري

ندوة الفنون والآداب

العالم العربي قبل ثورة (٢٣) تموز وبعدها

بقلم : علي بدور

جرى المؤرخون على التأريخ لعصر النهضة منذ سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ كما ارخه بعضهم منذ ان تم اكتشاف امريكا ، وجـــاء فريق ثالث فأقر عام ١٧٨٩ بداية للعصور الحديثة . وقد أحب مؤرخو العرب التأريخ لعصر النهضة في العالم العربي منذ ان هدرت مدافع نابليون في معركة الاهرام كما اعتبرها بعضهم منذ بداية الثورة العربية التي انطلقت من بطاح الحجاز عام ١٩١٦ ، ولكن هذا كله لن يؤثر شيئاً في عام ١٩٥٢ عندما ولدت في مصر العربية ثورة شعبية قام بها جيش الشعب ضد مستعمريه وضروب الحياة السياسية والاجتماعية التي استشرى فيها الفساد وذاع ، فكان مولد هذه الثورة نهاية لحياة مريضه وختاماً لعصور الانحطاط وبداية مشرقة لخلق عالم عربي ناهض قوي . ولرب سائل يسأل : ماهو حال العرب قبل الثورة وحالهم اليوم بعدها ؟ ان الاجابة بسيطة لان الحقائق واضحة والحجة دامغة .

عندما انتهت الحرب العالمية الثانية ، كان العالم العربي كله غارقاً في بحران الاستعمار ، فرنسا تسيطر على المغرب العربي كله ، وانكلترا تحتل اكثر الدول العربية ، حتى اننا عندما دخلنا فلسطين عام ١٩٤٨ لانقاذها .. كانت سوريا ولبنـــان وحدهما الدولتين المستقلين استقلالاً حقيقياً من دول الجامعة العربية جمعاء بالاضافة الى السعودية واليمن . وكان الشعب العربي طامحاً في الاستقلال والوحدة الشاملة راغباً في الاصلاح حتى ابعد الحدود وكنا في المجـــال الدولي تابعين ولم نكن سادة .. وحتى اننا فقدنا فلسطين في هيئة الامم وعلى ارضهـا بالذات دون ان نجرأ ولو على سؤال مندوب اية دولة ما عدا الدول الغربية .. ولو عن صحته . كنا حقاً دولا وحكومات وشعوباً ولكننا في الواقع لم نكن شيئاً يذكر . فلقد وضعتنا الدول الغربية في جيبها ان صح التعبير وتركتنا لنغلق نافذتنا على العالم بأنفسنا كما تموت دودة القز بلعابها . وكان وضعنا من حيث القيادة والسيادة القومية والتطور الاجتماعي ، مضطرباً مبلبلاً غير مستقر ولا متطور نحو هدف سليم او غاية واضحة . فقد كان في كل دولة عربية تقريباً ، احزاب عديدة ، بعضهـا يميني وبعضها يساري ، وبعضها وسط وكان اكثر هذه الاحزاب ينادي بالوحدة العربية والتحرر ورفع سوية الشعب ، ولكن عدم الاستقرار في الحكم كان يجعل من هذه الرغبات مجرد آمال على الورق ، وكان كل حزب مع حرص اكثر قادته على صنع شيء جدي ، يضيع الوقت في المهاترات الداخلية والاهتمام بشؤون الحكم المحـــلي ، وقضاء مصالح اعضائه . وكانت الحكومات المتحمسة لقضية الوحدة والتحرر ، وفي سوريا بوجه خاص ـ تنقل رغبات شعبها الى مجلس جامعة الدول العربية وكانها تطمر الحجر المتقد في جبل من الثلج . وكان وضع كل دولة عربية مشابهاً لوضع الاخرى من حيث الدوران في حلقة مفرغة من عـــدم الاستقرار وخداع الشعب بالمشاريع والاصلاحات وتعرضه لمؤامرات العدوان عليه في الداخل والخارج .

اما الاستعمار فكان له ثلاثة مظاهر : اولهـا الاحتلال العسكري باسم المعاهدات والحماية او بدون اي مسوغ قانوني آخر ، وثانيها في فلسطين حيث تقام لاسرائيل دولة وفق ما اسموه بالحقوق التاريخية لشعب اسرائيل في فلسطـــين .. وفي الجزائر .. حيث يسلب الشعب ارضـــه ويدمج في فرنسا الأم ، فكأن مئة سنة كافية لان تجعل من الجزائر العربية ارضاً فرنسية ، أمـــا الفا سنة فليست كافية لان تسقط الحق الموهوم والخرافة الكاذبة .

اما المظهر الثالث للاستعمار ، فهو ايجاد العملاء والاجراء والاعوان والتمهيد لهم لدخول أكثر الاحزاب وتسنم كبار المناصب للمراقبة والتوجيه والتخريب : فكان العالم العربي وسط هذه الزوبعة الهائلة من مظاهر الاستعمار الثلاثة ، يتعرض لحرب دعاية هائلة ، لادخاله في نطاق من العالم الغربي بحجة الدفاع عن الحضارة والقيم الروحية والعالم الحر ، واقناع اكثر الفئات الحاكمة بان موجة التحرر الوطني من الاستعمار واعوانه ، انما هي فكرة يسارية ينبغي ضربها للخلاص منها وذلك بان يتسلم كبار اللصوص والمجرمين والاعوان دفة الحكم ليوجههم من خلف ستار ، خبراء الجاسوسية وعمداء الدوائر الاجنبية ،

فيبطشوا بقادة البلاد واحرارها بطش المستبد الجبان . اما تطور الشعب العربي فقد كان معطلاً دون ان يأخذوا مجراه الطبيعي : فثروات العالم العربي تنفق في بناء القصور وشراء السيارات واقتناء الجواري الحسان وتأمين اكبر كمية من وسائل اللهو والترف ، على حساب الجموع الكثيفة المحرومة من اسباب الصحة والعلم والرفاهية ، حتى اننا قد لانعدم في المدن اجد وسائل الحياة عصرية ، ولكننا اذا خرجنا الى الريف ، الفينا حضارة المحراث التي عاصرت عهد حمورابي دون ان نلمس اثراً واجداً لتشريعه . وكانت القيم غير مستقرة ، بل انها مفقودة . فالحرية مثلاً كان لها مفهوم ضيق هو ان تعتقد كل فئة من الفئات العاملة في المجتمع انها الوطن وحده ، فاذا حاولت الدولة ان تتدخل لتنظم وضعاً او تعدل قانوناً نافذاً او تغير من اسلوب اثبت الاستعمال ضرره ، الفينا هذه الفئات تضرب الى ان تعود الدولة الى قواعدها ، تاركة لهذه الفئات ، الحرية في العمل وفق ماتعتقد انه حق خالص لها لاينازعها فيه احد . كان المجتمع اشبه بشجرة تنمو دون ان تشذب كل عام حسب ماتقتضيه قوانين الطبيعة . كان الغصن الاعلى يأخذ النور كله .. ويدع الاغصان التي تحته تموت ، وكان المجتمع يعيش بأن تموت بعض فئاته لتضمن البقاء الممتاز لفئاته الاخرى . وكانت طلبات ابن المدينة بعد أن تأمنت له الى حد ما ، وسائل الصحة والعلاج والتعليم والرفاهية منصبة على تأمين اسباب الحرية الفكرية وحق الكلام والتظاهر ، وهي حقوق نصت عليها اكثر دساتير الدول العربية . ولكن ابن الريف ، والريف بعامة كان كالبقرة الحلوب التي اسلمت ضرعها للمدينة . فكان اهل المدينة يصرون على حرية الصحافة وحق الانتخاب والوسائل الديمقراطية بصورة عامة بينما اهل الريف ينعمون بالجهل والمرض والجوع .. فكان من بؤس هؤلاء وجحيم حياتهم ، تشدق اولئك بالالفاظ التي خلت من مدلولها وتنعمهم بمكيفات الهواء والهاتف والمذياع ونور الكهرباء . وكانت الدولة تبني المدارس في المدن وتنفق عليها ، وتعدلها الاساتذة المختصين ، فاذا قال لها اهل الريف : نريد لابنائنا مدرسة قالت لهم : ابنوها من حجر صلب لارسل لكم معلماً فاذا ارسلته كان من معدن رخو لايحتمل شظف العيش واضحى همه توسيط كبار الشخصيات واحيانا النواب والوزراء في نقله الى المدينة التي انطلق منها .

وكانت شخصيتنا القومية شخصية قاتمة ، وتاريخنا كله لايبعث في نفوس الناشئة هزة من الفخر والامتداد لان مثلنا الاعلى كان يستمد من العالم الغربي ، بسبب الثقافة الغربية التي كنا نتزود بها وقد خلت من وقائع تاريخنا وتجارب شعبنا ، وكان من الصعب ان نجعل لنا نبراساً نفخر به فنذكر بطولة خالد بن الوليد لانابليون وفلسفة الغزالي لاكانت ، وعبقرية المعري الفنيه لاشكبير ، وعدل عمر لافردريك . وكانت مأساتنا القومية اننا مررنا بحربين عالميتين ، وخاننا في الاولى حلفاؤنا فلم نتعظ القيادة . وخاننا في الثانية نفس الحلفاء فلم تتعظ القيادة ، ولولا الثورة العربية في مصر عام ١٩٥٢ التي نادت بالحياد بين المعسكرين ، لكنا مسوقين لان تحالف نفس الخونة دون ان تتعظ القيادة رغم سلب فلسطين وفرنسة الجزائر ومؤامرات الخيانة والعدوان ! !

هذا عرض موجز عام لاوضاع عالمنا العربي قبل الثورة وهي اوضاع معروفة عانى الشعب العربي منها الكثير وتحمل اداها وشرورها ببسالة وصبر الى ان قيض الله لفجر ثورة ١٣/تموز ان تشرق انواره ، والظلمة القرون الخوالي ان تقبر في مهدها الى الابد .

نظرت الثورة الى الحياة في مصر العربية ، وهي صورة مشابهة للحياة في اكثر بلدان العالم العربي ، قيادات أكثرها مريض ، ومجتمع يتطور بعفوية دون رقابة حيث تبتلع السمكة الكبيرة ، الاصغر منها ، قد خلا من مظاهر الحياة القوية بعد ان تناهبته المذاهب الغربية والشرقية على حد سواء ، بينما الاستعمار يحكمه صراحة او من خلف الستار او ستارين اذا الزم الامر مدن تنمو وريف يعمل ، وشعب تواق الى العدل الخالص والمساواة الخالصة والحرية الحقيقية في ان يحصل الانسان على توب نظيف ومأوى مريح ، ولقمة شريفه ، ومعرفة تنير العقل والقلب تنبع من ارض الوطن دون ان تكون مستوردة من عواصم العالم الكبرى . ونتيجة لهذه النظرة الصادقة جاءت الثورة بالمبادىء الاساسية التالية التي كانت هدفاً لها ، ودستوراً ، طبقته بحزم وعزم وصلابة :

١ ـ القضاء على الاستعمار واعوانه
٢ ـ القضاء على الاقطاع
٣ ـ القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم
٤ ـ اقامة عدالة اجتماعية شاملة

المستمعون

للشاعر الانكليزي والتر دي لامار
ترجمة : نويل عبد الاحد

(يمتاز شعر والتردى لامار بالغموض ، وفي قصيدته هذه نراه يكرر رسم صور السكون المطبق والظلال الحالكة واشعة القمر الباهته والاشباح الساكنة وذلك لينقل للقارىء عقيدته التي يؤمن بها وحي ان الاموات ليست الا ظلالا ، لاتستطيع الحركة او الكلام بل التحديق في صمت وخشوع الى دنيا الحياة البشرية التي لم يعد لها فيها نصيب)

هل هناك أحد ..؟ هكذا قال المسافر
قارعا الباب المكسو بشعاع القمر
بينما أخذ حصانه يقضم في السكون
الحشائش السرخسية للغابة

. . .

وطار من البرج الصغير عصفور
وحلق فوق رأس المسافر
فطرق الباب مرة ثانية وهو يقول :
« هل هناك أحد .. ؟
لكن لم ينزل أحد الى المسافر
ولم يطل عليه من اسكفة النافذة المزخرفه بالاوراق .
لينظر في عينيه الرماديتين
حيث كان يقف حائراً في هدوء .
غير ان حشدوا من الاشباح المستمعة
التي كانت تقطن في البيت الاعزل
أخذت من ثم تستمع في سكون ضياء القمر
الى ذلك الصوت القادم من عالم البشر .
ووقفت محتشدة على الدرجة المعتمة
تحت أشعة القمر الباهتة
المؤدية الى القاعة المقفرة في اسفل الدار
وهي تستمع الى الهواء المضطرب
من نداء المسافر الوحيد
فأحس في قلبه غرابتها
حيث ردد السكون نداءه
بينما تحرك حصانه وهو يقضم العشب الاسود
تحت قبة السماء المزدانة بالنجوم والاوراق

* * *

وبغتة طرق على الباب طرقة
اكثر عنفا من ذي قبل
ورفع رأسه وهو يقول :
أخبروهم بأني أتيت
غير أن واحداً لم يجب
وأني احتفظت بوعدي ..

* *

ولكن المستمعين لم يفعلوا شيئاً
رغم ان كل كلمة فاه بها
سقطت مدوية في ظلال البيت الصامت
وكيف ران الصمت رويدا رويدا
حين غابت عن البيت حوافر الحصان

دمشق نويل عبد الاحد

مُناقشات

بين الوجودية والماركسية

عن رايموند آرون ــ تعريب : **الياس فرح**

شغل الحوار بين الماركسية والوجودية ، او بالاحرى بين الشيوعية واتباع (سارتر) الصحف والرأي العام منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى زمن قريب . وكان الوجوديون يأخذون على الماركسية تعميماتها وتحكماتها ونزعة الاطلاق والحتمية السائدة فيها واهمـــالها للحرية وقضاءها على الاصالة والفردية ، وينكرون عليها ماتدعيه لنفسها من صفة علمية ومن كمال ، ونظرتها الى كل ماخلا الماركسية على انه وهم وخرافة .

كما ان الشيوعيين كانوا يقولون عن الوجودية : انها تمثل ايديولوجيا البورجوازية الصغيرة ويتهمونها بالرجعية والفاشية ويقولون : ان البورجوازية الرجعية تدعم (جان بول سارتر) وتحميه لانها بحاجة اليه في صراعها ضـــد الديموقراطية وضد الماركسية . حتى انهم ذهبوا الى ابعد من ذلك واتخذوا من زيارة سارتر للولايات المتحدة وسيلة للتعريض به واعتباره داعية لامريكا وعميلا للاستعمار الامريكي .

أما اذا تناولنا المشكلة على الصعيد الفلسفي ، وتناولنا النصوص الفلسفية عند سارتر ومرلو بونتي ، وجدنا سارتر يقول : نحن على وفاق مع الماركسية في موقفها الثوري ، الا ان الماركسية تبقى نظرية مادية ومذهباً مادياً . أما النقد الذي يوجهه سارتر الى النزعة المادية ، فيتلخص في النقاط التالية :

١ ــ ان تفسير النزعة المادية (للشعور) تفسير متناقض ، لانها تفسره تفسيراً ينتهي الى اعتبار الفكر نفسه انعكاساً او انتاجاً لعمل فيزيولوجي ، كما يؤدي الى انكار (الذات) كحقيقة داخلية اصيلة . فهي تفسر الشعور باشياء خارجية وتنظر اليه كما لو أنه موضوع من الموضوعات الخارجية الملحة .

٢ ــ ان الماديين الماركسيين يدعون بأنهم يرفضون كل ميتافيزيك ، وأنهم يتناولون ببساطة نتائج العلم كما هي . في حين أن نتائج العلم في ذاتها لم تبرهن ولن تبرهن أبداً على صحة النزعة المادية . ذلك ان الجزم بأنه لاتوجد سوى حقيقة واحدة هي الحقيقة المادية أمر ميتافيزيكي يتجاوز كلياً نتائج العلم .

٣ ــ ان مفهوم (الوضعية) ملتبس لدى الماركسية ، ذلك ان نزعتهم المادية تقول بوجوب قبول العلوم كما هي على ان تصنف وترتب تبعاً لغاية ميتافيزيكية هي الجزم بان المادة وحدها هي الشيء الموجود .

٤ ــ والنقد الاهم في رأي سارتر هو ان هناك تعارضاً بين مفهومي (المادية والجدل) . ذلك ان ثمة فرقاً اساسياً يقدم بين الموضوعات المستقرة في المكان التي ترتبط فيما بينها بعلاقات خارجية صرف ، وبين حركة الجدل التي هي في جوهرها حركة افكار . ذلك ان هذه الحركة تشتمل على (تركيب) اي على (تجاوز) يحتفظ بالحالة السابقة ويتعداها في نفس الوقت اي تشتمل على نوع من النداء للمستقبل . لذلك فان الجدل لايمكن ان يأتلف مع نظـــام العلاقات المكانية والمادية التي يعمل الماركسيون على ارجاعه اليها .

٥ ــ واخيراً يتناول جان بول سارتر مثال (البنى العليا Super - Structures) اي الافكار التي يعتبرها الماركسيون صدى (للبنى الدنيا) اي التكوين المادي . ويقول : ان التفسيرات الماركسية في هذا المجال تنتقل بالتدريج من تفسير حتمي بسيط خلاصته ان الفكرة نتيجة وانعكاس للوضع المادي الى تفسير ديالكتيكي تطرأ فيه الفكرة في ظرف تاريخي لكي

تلبي حاجات معينة وتسمح بتجاوز وضع معين قائم . ويعلق سارتر على ذلك بقوله: ان ادخال حركة الجدل في المادة لايمكن تفسيره الا اذا استخدمنا مفهوماً مختلطاً ومتناقضاً عن الجدل. ان الماركسيين يزعمون أنه يمكن الانتقال من المادة البسيطة الى مختلف مراتب الحقيقة : الحياة والعـــالم والتاريخ والفكر ، ولكن هذا الانتقال لايمكن ان يفهم الا اذا كان مفهوم المادة الذي انطلقنا منه مفهوماً متناقضاً .

تلك هي خلاصة للنقاط الاساسية لنقد سارتر المادية الماركسية . وهو يرى ان الدواعي الثورية التي دفعت بعض الناس الى تقبل الايديولوجيا المادية ، تتوفر في الوجودية . وان الوجودية يمكن ان تكون فلسفة للثورة وسارتر يعتمد في تقرير ذلك على الحجج التالية :

١ ـ ان الشيء الهام في النظرة الثورية هو ربط الانسان والفكر بموقف او بوضع ما. وماتزعم المادية أنها تقدمه للثوري بهذا الصدد ، تقدمه الوجودية بصورة اكثر فعالية وأقوى اثراً . ذلك ان الموقف ليس شيئاً مطلقاً يلتصق به التصاقاً ، والانسان عندما يتناول الموقف بنظرة شاملة كلية يستطيع ان يتجاوزه

٢ ـ ان المادية بالنسبة للثوريين ميزة وفضيلة تتجلى في كونها تستبعد الاطار الذي يحيط الطبقات الممتازة بهالة من التعالي وتقضي عليه اذ تفسر الاعلى بالادنى . وسارتر يجد ان الوجودية تحمل هذة الفضيلة ايضاً . فهي تنظر الى الانسان على انه مجرد كائن عابر ملقى في العالم دون ان يعرف لماذا القي فيه ودون سبب بالاصل ودون هدف مباشر. لذلك فان الوجودية تنظر الى الحقوق التي يتمتع بها الممتازون (اى ذوي الامتيازات) على انها نوع من الميتافيزيك ليس لهـــا من تفسير الا الوضع الاجتماعي وهكذا فان الوجودية تبرهن على الصفة التاريخية للقيم وتسمح بتجاوزها .

٣ ـ وبفضل المادية لم يعد التاريخ يجري في مجال الفكر فحسب ، بل اصبح صراعاً يقود شيئاً فشيئاً الى تحقيق الغايات الانسانية . كذلك فان الوجودية في جوهرها تعطي كل ماتعطيه المادية في هذا السبيل .

ثم ان هناك نواحي اخرى في الوجودية كما يقول سارتر ، تظهرها كما لو كانت الاساس الفلسفي الطبيعي للارادة الثورية . فالاعتراف بالجانب الذاتي في الانسان ، وكون الشعور هو بصورة دائمة ومستمرة في حالة عدم اكتفاء ذاتي ، وكون حركته تكشف الواقع وتطمح في ان تتجاوز هذا الواقع ، وتاريخيه القيم ، وحرية الانسان .. كل هذه الافكار تصلح ان تكون اساساً لارادة ثورية .

وقد دفع (مرلوبونتي) محاولة الانتقال من الموضوعات الوجودية الى الموضوعات الماركسية خطوات كبيرة ، اذ عاد الى نصوص ماركس التي كتبها شبيبته ، وبين ان عدداً من الموضوعات الفلسفيه للوجودية توجد عند ماركس الشاب . وهو يحصر التلاقي في الامور الآتية :

١ ـ ان الوجودية تجاوز مزدوج المادية والمثالية . والماركسية كذلك . فماركس في رسالته (الاقتصاد السياسي والفلسفه) يقول : ان النزعة الطبيعية تختلف عن المثاليه كما تختلف عن المادية ، وهي الحقيقة التي توحدهما . وهي وحدها قادرة على فهم التاريخ .

٢ ـ ان الاساس في التفكير الماركسي فيما يتعلق في التاريخ ليست في الاصل هي المادة ، بل الانسان الفاعل المؤثر ، الانسان المشخص الذي يحتك بالطبيعة ويبدع عن طريق العمل شروط وجودها لا الانسان المجرد . فنقطة الانطلاق الرئيسية هي اذن علاقة الانسان بالوسط الطبيعي والاجتماعي . وفي وجهة النظر الماركسية عن التاريخ تكون الظروف دوماً نتيجة لعدد من الافعال البشرية ، الا ان الانسان يجد هذه الظروف من حوله متجمده متبلوره ، فهناك اذن جدل بين الفرد والمجتمع والانسان يخلق بفعاليته نظاماً من العلاقات الخارجية تتجلى لأحفاده كوضع قائم مقرر ، ولكنه في الحقيقة ليس وضعاً نهائيا ويمكن دوماً تبديله .

وقد حاول (مرلوبونتي) بالاضافة الى ذلك ان يظهر نوعاً من المجانسه بين النقد الماركسي للايديولوجيات وبين جهود الموجودين للعوده الى الموقف الانساني الاساسي . فالوجودية تسعى بدورها ان تخترق الضلالات والاوهام الايديولوجية التي تحبس الافكار ، بغية العودة الى التحرر والاختيار الذي يباشره الانسان بأصالة .

بعد هذا ، يمكننا ان نتساءل على الصعيدين الايديولوجي والبسيكولوجي : ماهو السبب الذي يجعل من الصعوبة بمكان على الماركسيين ان يتقبلوا وجهة النظر الوجودية قبولا حسناً وما الذي يجعل من المستحيل ان يكون الانسان وجودياً

وماركسياً معاً ؟ ولماذا لاتقف هاتان الفلسفتان في تطلعاتها ؟

اكبر الظن ان السبب الاول يعود الى ماتعزوه الفلسفة الماركسيه لنفسها من صفة علمية وضعية . في حين اننا لانجد اي مقياس عام او صفة مشتركة بين مسألة رياضيه اوفيزيائية وبين التفسير الماركسي للتاريخ . وعندما يقابل ماركس بين الاشتراكيه العلميه وبين الاشتراكيه الخياليه الوهميه ،انما يقابل في الواقع بين شكلين من اشكال البحث في المسائل الاجتماعية وضربين من ضروب تناولها . لذلك كانت الاشتراكية العلميه هي مايراه ماركس من خلال منظاره الخاص ، وكانت (علمية) في حدود المقياس الذي حدده في تفسير التاريخ وتطوره ، وليست علمية بالمعنى العلمي للكلمة .

ان الماركسيه حقيقة فلسفيه لاعلمية وتفسيرهاللتاريخ تفسير خاص يمت بصلة الى فلسفة التاريخ اكثر منه الى العلم ، ويبقى لنا ان نتساءل دوماً الى اي حد يتجاوب التفسير الماركسي مع معنى التاريخ ، وفيما اذا لم يكن للتاريخ اوللحتميه التاريخيه سوى حركة واحده وفي اتجاه واحد ؟ ان هذا التطابق بين الاشتراكيه والحتميه ليس سوى ميتولوجيا علمية تعمد اليها الماركسيه .

اما السبب الثاني فيعود الى الفارق الرئيسي بين مدلول الثورية في كل من الوجودية والماركسيه . فعندما نطالع كتاب (الكون والعدم) لسارتر نجد ان المشكلة الاساسية التي يدور حولها البحث هي علاقة الفرد بوجود الاله وبالعدم ونلاحظ جواً (باسكالياً) يخيم على الكتاب ، فما من حل يمكن ان تقدمه الوجوديه وثوريتها لهذه العلاقات ، في حين ان الثوره تعطي حلا للقضايا الفلسفيه في نظر الماركسيه .

لنعد الى العناصر المشتركه بين الوجودية والماركسية ربط الفكر بموقف ، الانفتاح والتجاوز ، الشعور بعدم الاكتفاء تاريخية القيم . ان هذه العناصر المشتركه تبقى عناصر صورية نسبياً ، ويبقي من المتعذر بل من غير المعقول ان ينحدر من (ماركس) شخص ينحدر في نفس الوقت من (كركيجارد) اذ لكي ننتقل من الوجودية الى الماركسيه يجب ان يصبح ديالكتيك (الفرد المتوحد) جدلاًتاريخياً وان يكون التاريخ تاريخاً حقيقياً للشعور الانساني . فاذا تناولنا قصة لسيمون دوبوفوار ، وجدنا ان التاريخ عندها ينحل الى سلسلة من الفشل لاسلسلة من المصالحات كما هو الامر لدى (ماركس) .

لذلك فانه من الممكن لوجودية سارتر ان تكون الى جانب الثورة الشيوعية في بعض النواحي السياسية والاقتصادية ، ولكنها لايمكن ان تتفق معها في الجانب الفلسفي الا اذا تخلت عن كل الموضوعات الاساسية التي قام عليها كتاب سارتر (الكون والعدم)

ان ماركس ينظر الى الثورة على انها ليست مجرد حادث سياسي او اقتصادي او اجتماعي ، بل انها تحمل معنى فلسفياً . انها تحقيق للفلسفة وكاشف للتاريخ . وقد اكد ماركس ولينين على ان وضع الكادح ليس هو الذي يعطيه رسالة البروليتاريا في التاريخ ، وعلى ان العامل وحده لايستطيع ان يكتشف الحقيقة الثورية ، بل رجل الفكر ، الفيلسوف هو الذي يكشف للبروليتاريا دورها التاريخي . لذلك فان وعي رجل البروليتاريا لرسالته التاريخية يتطلب معرفته بالخطوط الرئيسية لفلسفة هيغل وللفلسفة الماركسية التي تكشف عن المعنى الكلي للتاريخ .

اما الوجودية فهي لاتملك فلسفة للتحقيق ، وهي تجهد في التعرف على معنى ذي قيمة للتاريخ من خلال التجربة : تجربة الاضطهاد او تجربة الوضع العمالي في المجتمع .

ان الثورة بالنسبة للماركسية هي حل لمشكلة فلسفية اكثر ومنها حل لواقع معقد تقوم عليه المجتمعات . لذلك بقيت مجردة ، عندما حاولت ان تواجه الواقع اصطدمت به ، لأن الواقع اغنى من النظريات . لذلك كانت هناك ثورات لاثورة واحدة بالنسبة للوجودية .

غير ان الوجودية تكتفي من الثورة بفكرة الالتزام ، وتبقى الثورة بالنسبة اليها مجرد تصريحات اكثر منها دعوة الى العمل .

المسرحية في كتاب الشعر

٢

بقلم : عدنان ابن ذريل

يعرف ارسطاليس المأساة ، بناء على تحديداته السابقة[١]، في الشعر ، وفنونه خاصة المأساة فيه ، نشأتها ، وتطورها ، ووظيفتها ؛ فيرى انهـــا محاكاة لعمل هام ، بواسطة اللغة ، والاغاني ، والايقاع ، وان حوادثها تثير الفزع ، والشفقة ، فتطهر النفس من أهوائها ..

يقول أرسطاليس ، في مطلع الفصل الثاني من كتاب الشعر : « المأساة اذن ، محاكاة لعمل هام ، كامل ،ذي طول معين ، بلغة مشفوعة باشياء ممتعة ، يرد كل شيء منها على انفراد في اجزاء العمل نفسه ، وبأسلوب درامي لاقصصي ، وحوادثها تثير الشفقة ، والخوف ـ كذا ـ ، لتحقق التطهير باثارة هاتين العاطفتين[٢] .

ثم يضيف في شرح بعض عبارات تعريفه : « اما اللغة المشفوعة باشياء ممتعة ، فأعني بها المصحوبة بالايقاع ،والانسجام، او التي أضيفت لها الاغاني ؛ واما ورود كل شيء منها على انفراد ، فأعني به ان بعض اجزاء العمل يتم بالنظم وحده ، وبعضها يتم بالغناء[٣] . »

يحلل ارسطاليس بعدها المأساة الى اجزائها ، واجزاء المأساة عنده ستة ، هي : المشهد ، والشخصية ، والعقدة ، والعبارة ، والنغم الموسيقي ، والفكر ، اثنان من هذه الاجزاء ناشئان عن أداة المحاكاة ، وهما العبارة ، والنغم الموسيقي ، والثالث منها عن طريقة المحاكاة ، وهو المشهد ، في حين تعود الاجزاء الباقية الى طبيعة الشيء المحكي ، وهي الشخصية ، والعقدة ، والفكر ..

يؤكد ارسطاليس على طبيعة المأساة المسرحية ، وانها محاكاة بواسطة الاداء ، والتمثيل ، وان ذلك يجعل المشهد ، اي ظهور الممثلين على المسرح ، في المقام الاول ، ثم يتلوه في المقام الثاني النغم الموسيقي ، والعبارة ، وهما اداتا المحاكاة ، ويقصد من العبارة مجرد تأليف الابيات ..

ولما كانت المأساة محاكاة لعمل ، والعمل نفسه حوادث يقوم بها اشخاص ، استتبع من ذلك ان الشخصية ، والفكر سببان للاعمال ، أو أنهما سببان لنجاح الاشخاص ، أوفشلهم . فمحاكاة العمل هي العقدة ، والعقدة في مصطلح كتاب الشعر هي ترابط الحوادث ، او الامور التي تجري في القصة ، اما الشخصية فكل مامن شأنه ان يسم شخصيات الافراد ، ويجعلنا نلحق بهم بعض الصفات الخلقيه ؛ والفكر كل مايقولونه سواء في ذلك حين يثبتون شيئاً خاصاً بالبرهان ، او يعبرون عن حقيقة عامة .

* * *

اهم اجزاء المأساة العقدة ، اي ترابط الحوادث ؛ ذلك ان المأساة في اساسها محاكاة للأعمال لا للناس ، اي محاكاة للحياة بما فيها من سعادة وشقاء ؛ يضاف الى ذلك ان السعادة نفسها كائنة في العمل ، وان الخير الاسمى، وهو الغاية التي نحيا من اجلها عمل من نوع ما لاصفة من الصفات .

يؤكد ارسطاليس على قيمة العقدة ، وأولويتها بالنسبة للخلق ، او الصفات ؛ ويرى ان الصفات توجد في الشخصية ،الا ان الاعمال هي التي تحددها ، كما تحدد سعادة الناس ،اوشقاءهم؛ لذلك كله يقر ان المأساة لاتحاكي عملاً من اجل ان تصور الشخصية ولكنها بمحاكاتها للعمل تتضمن محاكاة للشخصية .

العمل اذن ، او العقدة غاية المأساة والغاية في كل شيء أسمى مافيه .

يردف ارسطاليس الى ذلك ان المأساة لاتقوم لها قائمة بغير العمل ؛ في حين يمكن وجود مأساه لاشخصية فيها ؛ ويذكر ان مآسي المحدثين تعتورها هذه النقيصه ، اي ان الشخصية فيها معدومه .

فالفن الخطابي مهما كملت له مقوماته من العبارة ،والفكرة لايحدث التأثير التمثيلي الصحيح ؛ في حين يمكن لأية ، رواية تتمتع بعقدة روائية جيدة ، ان تحدث ذلك ، ولو هي أخلت بخصائص العبارة ، والفكرة .

---

(١) ـ الثقافة ـ العدد ١ ، ص ٥٦ وما بعدها ..

(٢) ـ كتاب الشعر لارسطاليس ، ترجمة احسان عباس،ص ٣٤ .

(٣) ـ المصدر السابق ، ص ٣٤ .

كذلك هي الحال في التصوير ، فان الالوان الزاهية التي تنثر عفواً دون منهاج تثير فينا لذة اقل من مايثيره الرسم البسيط المجمل لصورة ما .

ناهيك بأن العناصر المؤثرة في المأساة ، وهي الانقلابات ، والانكشافات ، والمفاجآت ، هي اجزاء من العقدة نفسها .

والتاريخ الادبي يدل على ان المبتدئين في كتابة المآسي اقدر على الوصول الى الابداع في العبارة، والفكرة ، والشخصية منهم في تأليف العقدة الروائية . .

العقدة اذن هي الجزء الاساسي في المأساة، هي روح المأساة وقوام حياتها ؛ فهي في المرتبة الاولى من حيث اهميتها في تكوين المأساة ، وتليها في المرتبة الثانية ، الشخصية ، اذ المأساة محاكاة لعمل ، وانها تصور العاملين من اجل تصوير العمل نفسه

ثم يأتي في المقام الثالث عنصر الفكرة ؛ والفكرة هي القدرة على قول مايمكن ان يقال ، او قول ماهو ملائم المقام ، وارسطتاليس يلحق هذا الجزء من الرواية بفني الخطابة ، والسياسة ، من حيث ان القدماء جعلوا اشخاص رواياتهم يتكلمون باسلوب السياسيين ، كما جعل المحدثون اشخاص رواياتهم يتكلمون كالخطباء .

والشخصية في الرواية مايفصح عن الهدف الخلقي في القائمين بالعمل ، اي مايقدمون عليه ، او مايتحامونه دون ان يصرحوا بذلك ؛ وهي تميزه عن الفكرة ، من حيث ان الفكرة تظهر في كل مايقوله القائلون ، في حين ثمة كلام يقال ولا مجال فيه لظهور الشخصية .

ورابعاً تأتي العبارة ، وهي تعبير عن الفكرة بالالفاظ ، ولا فرق ان تكون شعراً ؛ او نثرا ثم يجيء النغم الموسيقي خامساً ، وهو اكثر الاجزاء مبعثاً للسرور !. اما المشاهد ، فرغم انها ذات تأثير كبير ، الا انها ابعد الاجزاء عن الفن ؛ اذ من الممكن تأثير المأساة بلا تمثيل ، ولا ممثلين ، كما ان جمال المشاهد يعتمد على فن المهندس ، اكثر من اعتماده على فن الشاعر .

★ ★ ★

بعد تحليله المأساة الى أجزائها ، يبحث اسطتاليس في الطريقة الصحيحة ، التي تبنى بها العقدة ، التي هي اهم جزء في المأساة ، فيعالج اولا موضوع العمل ، اقسامه ، طوله ، وحدته انواع العقد فيه ، قيمة كل منها ، ونرانا ملزمين بالتزام منهجه في ذلك كله نعرف بآرائه في كل مبحث من مباحثه . .

المأساة محاكاة لعمل تام ، كامل ، ذي طول معين ؛ ومعنى عمل كامل ، ان له فاتحة ، ووسطا ، وخاتمة .

الفاتحة تستدعي ان لا يتقدم عليها شيء قبلها يستتبع شيئا تالياً له ، والخاتمة على النقيض ، هي التي تستدعى شيئاً سابقاً لها ولكنها لا تستدعي شيئاً يعقبها ، والوسط ما يستدعي شيئاً سابقاً له ، وآخر لاحقاً !. والشاعر الذي يبني العقدة ، ليس حراً في ان يفتتحها او يختتمها كما يشاء ، وانما عليه مراعاة طبيعة كل من هذه الاقسام وقيمته .

اما الطول ، فكل ماهو جميل ، حيواناً كان أو أي شيء آخر مؤلف من اجزاء مختلفة ، يجب ان لا تترتب اجزاؤه على طريقة معينة فحسب ، بل يكون ايضاً ذا طول معين، ومحدود لان الجمال يتوقف على الطول ، والنظام .

وكما انه لابد من طول معين للحيوان ، او غيره من المحسوسات ، بحيث يعرض جملته ، فتحيط بها عين الناظر بسهولة فكذلك لابد ان يكون للقصة ، او العقيدة طول معين ، طول يعرضها في جملتها ، فتحيط بها الذاكرة بسهولة .

ولا يدخل في تحديد الطول مدة عرض الرواية على المسرح فذلك خارج دائرة الفن ، وانما يقدر طول القصة بتحقيق الكلية والشمول ، فكلما كانت القصة أطول على ان تكون كلا ، شاملا ، كانت اجمل ، وكان طولها سبب جمالها . .

ويحدد ارسطتاليس ذلك بالفرصة لتلاعب الحظ بالممثلين ، ويرى « ان الطول الذي يسمح للحظ ان يتلاعب ببطل الرواية فيمر به في سلسلة من المراحل الممكنة ، او الحتمية ، وينقله من شقاء ، او من سعاده ، ان مثل هذا الطول كاف لان يرسم لك الحد الذي تبلغه القصة ، او العقدة في طولها [1] . »

اما وحدة العقدة ، فتكون في محاكاة شيء واحد مرتبط الحوادث ، شأن الشعر فيها شأن الفنون التقليدية الاخرى في محاكاتها شيئاً واحداً . .

يلاحظ ارسطتاليس ان بعض النقاد ظنوا ان وحدة العقدة تتحقق لمجرد ان البطل واحد ؛ ويرد على ذلك ان ثمت احداث لا تحصي تقع لشخص واحد فقط ، وبعضها لا يمكن جمعه في وحدة واحدة ؛ لذلك خطأ الشعراء الذين نظموا قصائد في هرقل ، او تسيوس ، او ماشابهها من قصائد ، فقد حسبوا ان القصة لابد

---

(١) المصدر السابق ص ٤٢ :

ان تكون واحدة ، مادام صاحبها شخصاً واحداً ! . ثم يثني على هوميروس الذي كان حذراً من الوقوع في هذه الغلطة ؛ فحين نظم الاوديسة ، وكذلك الالياذة ، لم يدخل فيها كل ماحدث في حياة بطلة ؛ بل اتخذ موضوعة من احداث تجمعها وحدة ؛ والاوديسة في رأيه عمل واحد ، وكذلك الالياذة .

ويذهب ارسطاليس الى ان المحاكاة في الشعر خاصه « مادامت هي محاكاة لعمل فيجب اذن ان تصور عملا واحداً كاملاً ترتبط اجزاؤه ارتباطاً وثيقاً ، حتى لو ان احدها استبدل به غيره ، اونزع من مكانه لتفكك الكل جميعه ، اوتبدل. ذلك ان كل شيء يستبقى او ينزع دون ان يحدث وجوده او عدمه فرقاً ملموساً لايكون ، في الواقع ، جزءاً حقيقياً من الكل[١] . »

* * *

هذه الاعتبارات دفعت ارسطاليس الى اباحة التصرف في المسرحية المعطيات التاريخيه ؛ فليس على الشاعر ان يقص الاشياء كما وقعت فعلاً ، وانما عليه ان يصف التي كان من الممكن ان تقع ، اي عليه ذكر ماهو ممكن على انه محتمل او ضروري .

انها تقوده الى التمييز بين التاريخ والشعر ؛ فالاول يروي ماحدث ، والآخر يروي مايحتمل ان يحدث . وعلى ذلك يرى ان الشعر شيء ابدع من التاريخ ، واكبر منه قيمة ، لان الشعر يضطلع بالحقيقة ، بينما يضطلع التاريخ بالخاصة .

موضوع الشعر اذن هو العام ؛ وهو مايمكن ان يقوله ، او يفعله نوع من الناس ، يتمتع بهذه الصفات ، او تلك ، على وجه الاحتمال ، او الضرورة .

وهذا الامر واضح في الملهاة ، على الخصوص التي لعصره فالشعراء لايسمون فيها اشخاص رواياتهم الابعد ان يبنوا العقدة لحوادث محتملة الوقوع ، في حين كان الهجاؤن يعنون اشخاصاً باعيانهم ..

اما المأساة ، خاصة المتأخرة ، فشعراؤها مازالوا يحافظون فيها على الاسماء الحقيقية التاريخية ، ذلك ان ماحدث ممكن ، والممكن يقنع ، ويرضى ، ومع ذلك فثمت روايات ليس فيها غير شخصية تاريخية ، او اثنتان ، وماعداهما فمفتعل مخترع ، بل ثمت روايات ليس فيها اسم تاريخي واحد ..

يخلص ارسطاليس من ذلك كله الى التأكيد على قيمة التفنن ، والصنعه ، في العمل المسرحي فيقول : ان الشاعر يجب ان يكون شاعراً خالقا يبتكر القصص ، او العقد لاان يكون ناظماً ، كما انه شاعر بفضل ماوهب من قدرة على المحاكاة وهو انما يحاكي اعمالاً . وليس ينقص من شاعريته ان ينتزع موضوعه من واقع التاريخ ، اذ ان بعض الاحداث التاريخية ، قد يكون واقعاً في نطاق ما هو محتمل او ممكن ، وهو حين يتناول الاحداث من هذه الناحية يعد شاعراً قديراً[١] . »

* * *

يتحدث ارسطاليس بعد ذلك في العقد ، وقيمة كل منها ، فيرى أن أردأ العقد ، ذلك النوع الذي يجيء على شكل مجموعة من الفصول القصصية ، اي العقدة التي تتتابع فيها قصص لاترتبط بينها رابطة محتملة او ضرورية ، وقد يكون ذلك ارضاء من الشاعر للمثلين المتنافسين على المسرح .

واحسن العقد تلك التي يثير عملها الشفقة ، والفزع ، لانها تصميم ، وكل ..

والعقد نوعان بسيطة ، ومركبة ، وذلك حسب طريقة تكوينها : العمل البسيط هو العمل الذي يتوفر فيه التتابع ، والوحدة ، وتتبدل مقدرات البطل فيه تبدلاً غير مصحوب بانقلاب ، او انكشاف ، والمركب هو الذي يحدث بانقلاب او انكشاف ، ويجب ان ينشأ كل منهما من بناء العقدة نفسها ، ويكون بالضرورة ، والاحتمال نتيجة طبيعية لما تقدم من عمل.

والانقلاب تغير في الرواية الى عكس مايتوقع من احداث العمل ، ويتوصل الى ذلك بعوامل محتملة ، أو ضرورية .

اما الانكشاف فتغير من المجهول الى المعلوم ، وبالتالي الى الشعور بالكره او الحب ، نحو الشخصيات التي تكون سعادتها ، او شقاؤها موضوع العمل في الرواية .

وخير انواع الانكشاف ذلك الذي يصحبه الانقلاب ، لانه اذا صحبه انقلاب استطاع ان يثير الشفقة ، والفزع ، الامر الذي يحقق للرواية نهايتها من سعادة او شقاء .

والانكشاف من حيث حدوثه بين اشخاص يكون تارة من جانب واحد ، واخرى من جانبين .

والالم جزء ثالث من اجزاء العمل ، او العقدة ، او ايضاً الموضوع ، وهو كل عمل مؤلم هدام ، كمنظر القتل ، والتعذيب الجسدي ، والجراح ، وما اشبه ذلك من مناظر تتسلسل على خشبة المسرح ..

دمشق — عدنان ابن ذريل

(١) المصدر السابق — ٤٣ .

(١) المصدر السابق — ص ٤٦ .

النشاط الثقافي في الوطن العربي

● رغم ان المستشرق السوفييتي الكبير اينياتي كراتشكوفسكي قد توفي منذ قرابة سبع سنوات ، فان كتباً من مصر وسوريا ولبنان لاتزال ترد الى عنوانه ، لتأخذ مكاناً في مكتبة المستشرق الفريدة حقاً .

وكانت آخر اعمال كراتشكوفسكي الادبية نسخة خطيه لمقاله حول مجلة « الطريق » اللبنانية ، نهض اثرها عن مكتبه لكي لايعود بعد ذلك . والجدير بالذكر ان زوجته المستشرقة فيرا كراتشكوفسكايا تتابع مهمته من بعده . وقد التقت به في مصر عام ١٩٠٨ حيث تعارفا عندسفح اهرام خوفو .. وكان اينياتي قد امضى عامين متنقلا بين مصر وسوريا ولبنان ممعناً النظر في الحياة ، متعرفاً الى اقوام مختلفين ، مستوعباً اللهجات الدارجة في اللغة العربية .

● تنقل هذا العام الى العربية مجموعـة قصصية للكاتب السوفييتي يورين نجيبين باسم « الغليون » وتتألف من ثلاث قصص هي « الغليون » و « المنتصر » و « سنديانة الشتاء » .

والغليون قصة آخاذة تدور حول غجري محروم من الارث توصل بالطوق الملتوية خلال هيمانه على وجهه ، الى مسرح العاصمة حيث اصبح فناناً مرموقاً . اما « المنتصر » فهو احدى قصص نجيبين الكثيرة المخصصة للرياضيين السوفييت وتطلع « سنديانة الشتاء » القارىء على معلمة وطالب يصل دوماً متأخراً عن الدرس وينكشف اخيراً بعد التحقيق عن فتى مواظب ، جذاب ، ذي روح شاعرية كبيرة .

● في جلسة الجمعيه الاكاديمية العلوم السوفييتية التي انعقدت في العشرين من حزيران عام ٩٥٨ جرى انتخاب اكاديميين جدد واعضاء مراسلين للأكاديميه السوفييتية للعلوم . وكان بين الاعضاء الاثنين والثلاثين الجدد عالمان من الجمهورية العربية المتحدة هما الاستاذان تركي احمد رياض وخليل مردم بك اللذان ساهما مساهمة فعالة في تطور العلم والأدب في البلاد العربية .

والاستاذ تركي احمد رياض معروف جداً في الاوساط العلمية العالمية كعالم كبير في ميدان الكيمياء الكهربائية وهو يدير منذ عام ١٩٥٧ مركز الابحاث الوطني في الاقليم المصري . وهو في السادسة والخمسين من عمره ، اي في كمال قواه الخلاقة . وقد زار الاتحاد السوفييتي منذ عامين على رأس بعثة علمية .

اما الاستاذ خليل مردم بك فهو الاديب العربي الكبير ورئيس المجمع العلمي العربي في دمشق . ويعتبر العلماء السوفييتيون بالدرجة الاولى ، كتابه القيم « شعراء دمشق في القرن الثالث بعد الهجرة » وابحاثه حول اعمال الشاعر المرموق ابن حيوس . وقد حيا العالمين العربيين زميلهما في اكاديمية العلوم السوفيتية العالم اليكسندر توبتشيف نائب رئيس الاكاديمية .

● ارتجل سيادة اللواء حسن رجب سفير الجمهورية العربية المتحدة لدى جمهوريه الصين الشعبية محاضرة قيمة موضوعها « الصين الشعبية » وذلك في جمعية الصداقة السورية الصينية ، مساء السبت ١٣ ، وقـد احاط المحاضر ، بعمق وايجاز واع ، بتاريخ الصين الحديث ثم المعاصر ، وتحدث عن النهضة العظيمة التي حققتها الصين في عهدها الجديد ، واشار الى اهتمام قادة الجمهورية العربية المتحدة بخطوات الصين وضرورة الاستفادة من هـذه الخطوات الجبارة . وذكر العلاقات القديمة بين العرب والصينيين عبر التاريخ ودعا الى تقريرها بعدان انقطعت طيلة وجود البلدين الصديقين تحت نير الاستعمار .

(تأثير الوحدة على الاديب في الاقليم السوري)

دأبت « جمعية الادباء العرب » على اقامة ندوة أدبية شهرية يشترك فيها ادباء من الاعضاء ومن غير الاعضاء . وقد عقدت الجمعية ندوتها الادبية لهذا الشهر في دار القاصة المعروفة السيدة الفة الادلبي . واشترك في هذه الندوة عصبة من الادباء والمفكرين منهم الدكاتره : حكمة هاشم ، ابراهيم الكيلاني ، شكيب الجابري طلعة الرفاعي ـ والشاعر نزار قباني ، مدحت عكاش ، سعد

صائب ، الانسة عناية رمزي ، عبد الرحمن خزندار ، مطاع صفدي ، وهيب دياب ، عفيف بهنسي ، محمد حيدر .

واستهل الحديث الدكتور شكيب الجابري بشكر السيدة الفة الادلبي ثم حدد الموضات التي ستبحثها الندوة تباعاً وهي : ١ ـ تأثير الوحدة على الاديب في الاقليم السوري ٢ ـ القصة القصيرة والطويلة . ٣ ـ الشعر النثري وهنا اعترض الشاعر عكاش عن هذا التعبير قائلاً : الاصح يادكتور « الشعر الحر » فقال الدكتور : الشعر الحر وتابع حديثه متطلعاً الى الدكتور حكمة هاشم .. قائلاً : وسنبحث الآن الموضوع الاول ونبدأ الجلسة بسماع الدكتور هاشم .

قال الدكتور هاشم : ان قضية الوحدة العربية ، هي قضية الامة الرئيسية وقضية الساعة ، لاعلى نطاق محلي فحسب ، وانما على نطاق عالمي . وقد بدأت هذه الوحدة بنشوء الجمهورية العربية المتحدة ، واتسع نطاقها الآن لوحدة أشمل تضم البلاد العربية اجمع كما يدل مجرى الحوادث ، مما يبرهن على أصـــالة النزوع القومي لدى الجماهير العربية . ان الوحدة تطرح تساؤلات عدة .. وعلى المفكرين والادباء معالجة هذه التساؤلات ونرى ان الجانب السياسي هو اولى الجوانب التي يجب ان تبرز ، وذلك قبل معالجة الجانب الفكري المحض .

وتساءل الشاعر نزار موجهاً كلامه الى الدكتور هاشم : هل الادب العربي في هذه الفترة يجب ان يتجه اتجاهاً سياسياً ؟ هل نصر على ان الادب يجب ان يكون نضالياً الى ان تتحقق الوحدة العربية الكاملة ؟ فأجابه الدكتور هاشم : ان الحوادث التي تمر بها القومية العربية تؤدي الى الادب السياسي . وتساءل نزار من جديد : هل نفهم من ذلك ان درب الاديب يجب ان يرسم ؟ ورد الدكتور هاشم : نحن متجهون في هذا الطريق . فالشاعر نزار مثلاً ، الذي يتغنى بالحب والجمال ، أرسل القصائد القوية في قضايا عربية مثل بور سعيد .. جميلة بوحيرد . وأجاب نزار ان الاديب بحركة داخلية سيتجه هذا الاتجـاه . وهنا تعرض الدكتور هاشم لمشكلة الالتزام فقال : ان نلتزم .. لايعني اننا نفرض حوادث بعينها على الاديب . ان منطق الاحداث يملي على الاديب اتجاهه ، والفكر يتمثلها بفعالية عفوية .. اذن معضلة الالتزام ليست بمعضلة . وقد ايد نزار رأي الدكتور ، ولكنه اضاف : ومع ذلك يجب الا نستبعـد المجرد .. لان جوانب النشاط الانساني متعددة .

وانتقل الدكتور الجابري بالحديث الى قلب الموضوع قائلاً : أطلعت في مجلة المصور على آراء أدبية لبعض كتاب القصة في الاقليم المصري ، وهم : يوسف السباعي ، نجيب محفوظ ، محمد عبد الحليم عبد الله ، يوسف أدريس ، ومن بين آرائهم ان الاديب في بلادنا لن يستطيع ان يعيش من أدبه قبل خمسين عاماً ، وان مستوى الكتاب العربي لم يصل بعد الى مستوى عالمي يجعلنا فخورين بأنه سيجتاز الحدود العربية ، رغم ان بعض آثار كتابنا قد ترجمت الى اللغات الاجنبية . وسؤالنا : هل ستلعب الوحدة دوراً في تقصير هذه المدة ؟ في انتشار المؤلفات أم لا ؟ وقد اجابت الآنسة عناية رمزي على سؤال الدكتور بقولها : ان الوحدة ستفيد الادباء في الاقليم السوري . فنحن نعلم كل شيء عن ادباء الاقليم المصري وعن انتاجهم ، في حين انهم يجهلون كثيراً من الاشياء عنا ، وسيربح اديبنا من هذه الوحدة عن طريق اتصاله باخوانه الادباء في مصر

وقال الشاعر مدحت عكاش : ان الوحدة ستفيد ادباءنا في الاقليم السوري مادياً ومعنوياً : في انتشار انتاجهـــم وفي تعريفهم . ونعتقد انها ستكون عاملاً هاماً في اتساع رقعة الادب العربي بالنسبة للأدباء عامة . ونحا الاستاذ سعد صائب بالبحث منحى آخر فقال : لقد نهج أدبنا نهجاً قومياً لم يتوفر في الاقليم المصري ، ولذا فان ادبنا سينقل هذه الفكرة الى مصر فيزداد التفاعل بين الادبين ، بينما نستفيد نحن من الدراسات الموضوعية في مصر ، ومن امكانياتهـا الكبيرة في النشر .

وقال الدكتور الجابري : ومع ذلك .. مهما ابلغ الاديب العربي من الانتشار (طه حسين ، العقاد ، الحكيم ، احسان ، السباعي) يظل بينه وبين سومرست موم مثلاً ، مسافات كبيرة وكان من رأي السيدة الفة الادلبي أن ارتفاع نسبة المتعلمين وانتشار الثقافة ، والوحدة العربية الشاملة ـ وهي امور في طريق التحقيق ـ كلها من العوامل المساعدة على خدمة الاديب

وقال الاستاذ صفدي : لماذا نضع مقياساً محدوداً هو الرواج ؟ قيمة الاديب لاتقاس برقم البيع ؛ ان كتـــاب « ساجان » مثلا اكثر رواجاً من كتب سارتر ، ولكن هل نضع ساجان في مستوى سارتر الفكري ؟ وقل الامر نفسه بالنسبة لطه حسين والعقاد ، والحكيم .. وبعض الكتاب المحدثين

وقال الدكتور كيلاني : ان الجيل الاول من كبار الكتاب في مصر مثل طـه حسين .. الحكيم .. العقاد ، لم يتجاوب مع روح العصر ، في حين ان الجيل الثاني من الكتاب يتجاوب مع الجماهير ، كاحسان عبد القدوس مثلا . فهو يقدم غذاء للجماهير لا يقل عن غيره من ادباء الغرب ، وهذا التجاوب عامل اساسي في انتشار الاديب . وعقب نزار على الموضوع بقوله : ان توفيق الحكيم من بين الجيل الاول ، يتجاوب دائماً مع العصر .

ورد الدكتور الجابري فقال : نحن لا نعني بانتشار الكتاب رواجه فقط ، فهناك فكرة للكاتب يتحرى شيوعها ، وهي بالنسبة اليه أهم من الرواج .

واستمرت الندوة بعد ذلك طويلا واشترك الجميع في النقاش ، ونلخص فيما يلي نتائج الندوة :

ان الوحدة تطرح امامنا قضية التفاعل الانساني العميق بين نوازع الادب في القطرين . فاذا اردنا ان نحدد بشكل مبدئي النزعات الرئيسية في ادب القطر المصري . نجد ان هناك ادب الاساتذة الاوائل ، والذي يشكل نقطه انطلاق الادب العربي الحديث . ويتميز بالحفاظ على القديم ، خاصة في اللغة والاسلوب ونلقي ايضا نزعة رئيسية ماتزال سائدة الى اليوم ، وهي النزعة الرومانسية التي تعتمد على التصويري الخفيف وتساير الى حد بعيد نزعة الحلم عند جيل مكبوت لم يستطع ان يمارس فعاليته الحقيقية في الحياة الخارجية ، التي كانت تابعه لعوامل الاضطهاد والطغيان الاستعماري . ونجد اتجاها ثالثا مازال غض الجذور هو الادب الواقعي الطبيعي ممثلا في نجيب محفوظ . والى جانبه تيار الواقعية الملتزمة ويمثلها ادريس والشرقاوي وغيرهما ولكن الظاهرة البارزة في كل هذه التيارات المستحدثة كالواقعية الطبيعية ، والملتزمة ، ان رنة الرومانسية الاسيانة الحالمة ، هي المحرك لكثير من انتاجات هذا الادب .

اما الادب في الاقليم السوري ، فقد كان أكثر عفوية ولذا لم يتبلور ضمن مذاهب اجتماعية ، وبذلك لم تظهر له فعالية مباشرة . ان الطابع العام لهذا الادب يتراوح بين الرومانسية الحالمة والواقعية الملتزمة الحديثه . والالتزام في هذا الجزء من العالم العربي (سوريا ـ العراق ـ لبنان) يختلف في هدفه عن الالتزام في مصر ، انه يقوم على التزام القضية القوميه ومشاكل الجيل العربي المناضل من اجل مثله العليا . ولذا فأدبنا نهج نهجاً قوميا واضحا . ويشكو ادبنا من ضعف المؤسسات الادبية كدور النشر والاذاعة والصحافة الادبية . ومن هنا كانت قلة في الانتاج وبعثرة في الاتجاهات .

ومن فضائل هذه الوحده ، بالاضافة لدورها القومي السياسي ، انها ستصل بين خصائص الادبين وتفسح المجال لتفاعل عميق بين النوازع الانسانية والفكرية لكل منهما . وأبدى الحضور جميعا تفاءلهم بثوره العراق التي تبشر نتائج طيبة في المجالين القومي والادبي .

اقامـة رابطة الكتاب في مقرها حفلة خطابية تكريمـاً لاحرار العراقيين العائدين الى وطنهم بعد ان عادت الحرية الى مرابعه وزال عهد الطغيان . وقد جرت الحفلة مساء الخميس ٣١ تموز ، وقدم عضو الرابطة الاستاذ شحادة الخوري الحفلة بكلمة موجزة ثم القى كلمة وطنية جامعة المجاهد العراقي الكبير الاستاذ عزيز شريف حمل فيها تحية بغداد ، دار السلام ، محطمة حلف بغداد . ثم القى الشاعر الاستاذ احمد سليمان الاحمد قصيدة رائعة ننشرها في غير مكان من هذا العدد . والقى الاستاذ سعيد حورانية كلمة طيبة فالشاعر عادل قرشولي وختم الحفلة الشاعر الاستاذ محمد الحريري بقصيدة رائعة .

صـدرت مؤخراً في موسكو مجموعة قصصية لكتاب سوريين ، قدم لها الشاعر السوفييتي الكبير نيكو لاتيخونوف واشترك بها اثنا عشر كاتبا من الاقليم السوري وصلنا من اسمائهم حسيب كيالي ، مواهب كيالي ، عادل ابو شنب ، ليان ديراني مراد السباعي .

عرضت في تلفزيون موسكو امسيـة للشعر العربي شهدتها الملايين وتليت فيها قصائد لاحمد شوقي وجبران خليل جبران وحافظ ابراهيم وغيرهم . وقد كانت مظاهرة كبرى للشعر العربي .

في رواق اللوحـات التابع للدولة في عاصمة ارمينيا السوفييتية توجد مجموعة من التحف المصرية ، وتشاهد في هذه المجموعة نماذج صغيرة عن فن النحت نبشت من اضرحة تعود الى القرن الثالث حتى الاول قبل تاريخنا . انها تماثيل صغيرة من البرونز للاله اوزيريس وزوجته الربه ايزيس وابنهما الاله هوروس ، ونماذج من خزف مطلي ، وابو الهول ، ودمى من خشب وغيرها من الاشياء وتحتوي المجموعة على النسيج القبطي المشهور المحفوظة بطريقة تستحق الاعجاب .

عرضت ، منذ مدة ، في قاعات متحف الثقافة الشرقية

في موسكو ، فنون الزخرفة والبلاستيك والتزويق السوري وقد كتب الرسام السوفيتي اورست فيريسكي الذي زار الاقليم السوري مؤخراً مقالة عن هذا المعرض قال فيها : « ان الرسم الوطني في سوريا يمكن ان يعتبر كمظهر فني للفن ، ذلك لان السنوات الطويلة الفائتة تحت الاحتلال الاجنبي قداوقفت تطور الفن الوطني والاصيل ، اذ اجتهد الاساتذة الاجانب في خنق كل بادرة للروح الوطنية لدى الشعب السوري ، اما الآن وبعد التحرر الوطني ، فاننا نحس لديه الرغبة الشديدة في توطيد قدمه في الفن والابحاث الفعالة عن اشكال خاصة بشعب احرز استقلاله . ان لوحة فريد كردوس « يقظة العرب » مشبعة بهذا الاحساس ، ففي الوسط نشاهد يافعاً جميلا يرفع عاليه فوق رؤوس الجماهير التي تحيط به علم سوريا الوطني . انهذه اللوحة مثيرة حقاً وقد عبر الرسام عن فكرته بالوان متعاكسة زاهية داكنة وسلم وهاج من الالوان .

ان أغلبية الرسامين السوريين يتجهون نحو المواضيع الشعبية معجبين بمشاهد وطنهم ، وتظهر مناظر من دمشق وضواحيها على عدد كبير من اللوحات . فهذه مناظر من دمشق على لوحات ناظم الجعفري . انه يقودنا في جو من الحرارة المرهقة التي تجثم على سوق (بازار) المدينة القديمة (قوافين) . ونتبعه بعيداً في الازقة الهادئة بمساجدها القديمة (الحي العتيق) . ولا يقتصر فن الجعفري على تصوير المناظر الطبيعية فحسب ، رغم ان هذه المناظر هي المظهر الرئيسي لفنه ففي المعرض نشاهد لوحة « خريف » وهي احدى صور اخت الفنان الجميلة جداً في الواقع .

وقد ابدع محمود جلال نموذجاً نسائياً على جانب كبير من السحر في لوحته (فلاحة تلبس قبعة من القش) . ان هذا العمل رائع بتلوينه وبقوة صنعه .

اما اعمال نصير شورى فهي مشبعه باخلاص حار . ويظهر اهتمامه وذوقه حتى بمجرد العناوين (ساحه القرية) (صلاء) (المشعل) (درزية) (وادي بردى) . وهذه اللوحة الاخيرة مشهد غنائي . ويخيل لي ان الرسام قد وضع كل دقته في اظهار المياه العزيزة جداً على سوريا .

ان الابحاث عن اشكال جديدة هي ايضاً مميزات لتطور الفن السوري الفني ، ولهذا السبب تختلف الطرق التي يستعملها الرسامون لتحقيق تصوراتهم اختلافاً كبيراً . فسامي قصاب باشي سيبحث عنها في التزويق التقليدي ، ومروان قصاب باشي في الايقاع الموزون المكرور الذي يذكر بطرة الطنافس ، ونعيم اسماعيل في عمله المزخرف القوي التعبير .

وفي اعتقادي ان طريقة الفن السوري قد اصبحت واضحة المنهج ، انها المهمة النبيلة في عكس حياة الشعب ومشاعره الوطنية

عثر قرب مدينة تدمر على خمسة أضرحة تعود الى القرن الاول بعد المسيح . وقد صرح الدكتور سليم عادل عبد الحق مدير الآثار في الاقليم السوري بان هذا الاكتشاف سيلقي ضوءاً على تاريخ مملكة تدمر التي حكمت جزءاً كبيراً من الشرق في السنوات الاولى بعد المسيح .

« تدريس الطب باللغة العربية » موضوع المحاضرة التي القاها الدكتور عزت مريدن عميـــد كلية الطب في دار الحكمة بالقاهرة — وقد احدثت المحاضرة دوياً في الاوساط العلمية ، وأثارت كثيراً من النقاش .

أدلى كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم بتصريح عقب عودته من رحلته الثقافية الى الاتحاد السوفييتي قال فيه : ستدرس اللغة الروسية في معاهد الجمهورية العربية ، وبالمقابل ستدرس اللغة العربية في المعاهد السوفيتية .

لبى الدكتور طه حسين دعوة حكومة المغرب ، لالقاء محاضرات أدبية ، وقـــد استقبله في مدينة الرباط الملك محمد الخامس بحفاوة كبيرة . وسيلقي الدكتور حسين عدة محاضرات في مختلف مدن المغرب .

ستصدر الشركة العربية للطباعه والنشر « سلسلة كتب وجودية » عن سارتر ، ساجان ، كامو ، مارسيل ، وذلك باشراف الاستاذ أنيس منصور . كما أنها ستنشر دراسات وجودية للاستاذ أنيس نفسه .

تحدث الكاتب الهندي الكبير ملك رادج اناند في الاجتماع التحضيري لمؤتمر الكتاب الآسيويين والافريقيين فقال : « ان كل كاتب ممثل لجمهورية الكلمة العظيمة ، ان ليس ملك نفسه فحسب ، بل هو ملك الشعب اجمع » وقال تشوفونان وهو من ممثلي الثقافة الصينية الكبار ان الحضارة الشرقية « تشبه شجرة قديمة ذات جذور عميقة واغصان مورقة رائعة وهي تعطي دوماً اكثر فأكثر افناناً جديدة تنشر عبقها الذكي »

سيخصص في طشقند ، ابان انعقاد مؤتمر الكتاب الاسيويين الافريقيين ، اجتماع للقراء خاص بمؤلفات رابندرانات طاغور الشاعر الهندي الكبير ، كما سيخصص اجتماع آخر في جامعة سمرقند لاعمال « ماودون » الكاتب الصيني المعاصر الشهير .

النشاط الثقافي في الغرب

* احتفل العالم الموسيقي بالذكرى الخمسين لوفاة الملحن الروسي العظيم نيكولاي ريمسكي – كورساكوف، وأصدرت وزارة المواصلات السوفييتية بهذه المناسبة طابعاً بريدياً يحمل صورة مؤلف السمفونية الرائعة « شهرزاد » التي استوحاها من لوحات « الف ليلة وليلة » الساحرة .

* وجهت اللجنة الوطنية للكتاب الفرنسيين ، بياناً الى جميع الكتاب في العالم والى منظماتهم ، ونحن ننقل الى قرائنا نص البيان وأسماء الكتاب الذين وقعوه .

* ان لجنة الكتاب الوطنية التي ولدت في النضال ضد الفاشية ، هذا النضال الذي وطد وحدة الامة المظفرة ، آخذاً منها بالحفاظ على تقاليد المقاومة .

تحكم على انقلاب الجزائر الذي تمرد فيه عسكريون على الدعوة للنظام التي وجهها رئيس الجمهورية واخذوا على عاتقهم تقسيم الفرنسيين .

وتؤكد ان أية شخصية ، مهما كانت في الماضي ، يجب ان لا تطمح ، الى استلام الحكم بناء على دعوة هؤلاء الرجال .

وتعلن ولائها للجمهورية وللحكومة الدستورية في البلاد

وهي تطلب في نـداءها الى جميع الكتاب والى جميع المنظمات ان يخرسوا كل خصام فيما بينهم ، وان يتكاتفوا بلا ابطاء في سبيل حماية معاهد فرنسا .

التواقيع : مـارسيل اوكلير ، ماري آن كومنين ، الزاتوبولي ، آرغور ، بيبرغاسكار ، جـورج غوفي ، غيليفيك ، زينه جوغلي ، فرنسيس جوردان ، بيبردي ليسكير ، جاك مادول ، روبير ميرل ، كلود مورغان ، ليون موسيناك ، الن بريفوست ، كاودروا ، جورج سادول ، جان بول سارتر ، ليوبولد سيدار سنغور .

* نشرت دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية في موسكو منتخبات من اشعار الشاعر التشيكي الغنائي ليتشاك . ومن هذه الاشعار « الرفيق هو وطني » و « نشيد الصداقة العظيمة » و « نحن نكره ونحب » .

* اخرجت مطابع موسكو كتاباً بعنوان « شبـاب القارات الخمس يتعارفون » وقد خصص للمهرجان السادس العالمي للشبيبة والطلاب في موسكو عام ١٩٥٧ ، ويضم الرقصات الفولكلورية الرائعة والباليه الكلاسيكي الذي عرضـه شباب وشابات اوروبا وآسيا وافريقيا واميركا الشمالية والجنوبية ، وكذلك الفرق المسرحية الاجنبية التي اشتغلت في موسكو والكتاب مزدان بالصور .

* نشرت دور النشر التربوية والمدرسية كتاباً بعنوان « دراسات » حول تاريخ الولايات المتحدة (١٧٧٤ – ١٨٧٠) وقد روى مؤلفه العالم امنيموف تاريخ هذه البلاد منذ بدايـة حرب الاستقلال الحركة العمالية في الاتحاد السوفييتي ، وحركة السكان الزنوج وحياة القبائل الهندية وغير ذلك من الفرق الوثنية التي تقطن الاقليم الاميركي .

* عرض حديثاً في متحف الفن الاوكراني في لفوف معرض لاعمال النقاشة الاوكرانية العظيمة اولينا كولتشيلتكايس . وقد خصص قسم كبير من نقوشها للأنصاب التذكارية في اوكرانيا الغربية وروائع المعابد القديمة والبيوت الاثرية المزينة بالرسوم الفنية . وبفضل معرفـة اولينا للفن الشعبي الاوكراني فقد استطاعت ان تسجل بواسطة النقوش الحكايا الشعبية الاوكرانية واعمال الكتاب الاوكرانيين الشعبيين مثل ايفان فرنكو وميخائيل كوزوبنسكي ، وليسيا اوكراينكا وغيرهم .

توفي مؤخراً الشاعر الاسباني خوان رامون خمينيز – وقد فاز خوان بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٦ . وترك كثيراً من المؤلفات الشعرية – لم ينشر منها الا ما كتبه منذ ٤٠ عاماً – ولا يزال الكثير من انتاجه دون نشر . وعندما سئل عن انطباعاته عند تسلم جائزة نوبل ، أبدى أسفه لان الاكاديمية السودية لم تمنح جائزة نوبل للفيلسوف الاسباني الوجودي « أونا مونو » .

فاز غابريل مارسيل الفيلسوف الوجودي المسيحي بجائزة

« الآداب القومية » عن مؤلفاته . ومن المعلوم انه فاز قبل عشر سنوات بجائزة الاكاديمية الفرنسية .

« كانتو ٩٩ » عنوان أول قصيدة ينشرها الشاعر الامريكي عزرا باوند، وذلك بعد خروجه من سجنه في مستشفى الامراض العقلية الذي وضعته فيه السلطات الامريكية ، ومن المعروف أنه سجن بسبب مهاجمته للحكومة الامريكية خلال الحرب العالمية الثانية من راديو ايطاليا .

« ماريون دجونز » معلمة متقاعدة يبلغ عمرها ١٠٠ سنة تقريباً . اصدرت مؤخراً كتاباً بعنوان « قصة عجوز » ضمنته افكارها وخواطرها خلال خمسين عاماً . وقد احدث الكتاب دوياً كبيراً في بريطانيا .

تكونت اخيراً في انجلترا جمعية (جمعية الشبان الساخطين) وهي مؤلفة من الشعراء والادباء والنقاد والناشئين الشباب . واصغرهم سناً عمره ٢٥ عاماً واكبرهم لا يتجاوز ٣٥ عاماً . وتضم الجمعيه ثلاث فتيات . واغلب هؤلاء الاعضاء من الفقراء ، ورغم انه لا توجد رابطة فكرية بينهم فقد اتفقوا في شيء واحد هو (السخط) .

السخط على الحكومة .. وعلى الملكة وحاشيتها ورجال البلاط وعلى اصحاب الملايين الذين يمتصون دماء العمال والفقراء .. والسخط على رجال الدين وعلى السياسيين الدجالين .

وهم ساخطون ايضاً على الشعب الانجليزي المغرور . الذي لايزال يحلم بأمجاد الامبراطورية التي اصبحت عجوزاً .. ويعتقد ان (املاكه) لا تغيب عنها الشمس !!

وقد اصدر اعضاء الجمعية بياناً قالوا فيه : لسنا حزباً ، ولا نتبع حزباً معيناً ، وليست لنا برامج . ولسنا شيوعيين ... او ملحدين ومنحلين كما يقولون . هدفنا : تحطيم التقاليد البالية والعقلية القديمة ، وبناء المجتمع على اسس جديدة .

وقد عبر الاعضاء عن رأيهم اول الامر بالنقد العنيف لكبار الكتاب والفنانين الذين انقلبوا الى قساوسة وساسة . ثم انتقلت المعركة الى الضرب بالايدي . واخيراً تحولوا الى الصحف ينشرون فيها القصائد والقصص والمقالات التي ضمنوها سخطهم .

وثاروا ايضاً على الوجودية التي ايقظتهم اول الامر : لقد نبههم سارتر من السبات الذي يغطون فيه .. وحطم الاسوار التي تحيط بعقولهم . واعتبر الانسان مسؤولاً ، دون ان يقدم له اي شيء .

العالم العربي قبل ثورة

بقية مانشر على الصفحة (٤٨)

بقدر ماهي طعام وثياب وبيوت للسكن ومستشفيات ومدارس ووطن قوي بشعبه كله اكثر مما هو قوي بنفر من ابنائه المرفهين الى جانب الملايين المحرومة من كل شيء . وهي جاهدة لاقامة حياة ديمقراطية سليمة عمادها الشعب في اتحاد قومي اخرج لمصر اول مجلس نواب ضم كل القوى الخيرة الكامنة في اعماق الشعب بعد ان فتحت امام المواهب كافة الميادين للخلق والبناء . ثم جاءت المناسبة التاريخية باعلان مولد الجمهوريه العربية المتحدة بين شعبي الاقليمين بعد ان مدت سوريا يدها في شخص الرئيس شكري القوتلي ، ممثل الشعب والمجلس والحكومة ، وكانت مصر قد مدت لسوريا يداً تمثل آمال العرب في الوحدة الشاملة والحرية الحقة في شخص الرئيس جمال عبد الناصر ممثل الشعب والمجلس والحكومة .. فشهد مولد الجمهورية التي كانت من مخاض هذه الثورة الباسلة وتلاقيها مع نداء القومية العربية المنبعث من سوريا كما قال الرئيس جمال عبد الناصر : جمهورية عربية متحدة تؤمن بأن الحرية في الداخل هي للشعب .. لرفاهيته وازدهاره ومنعته . وهي لكل الشعب لان الجمهورية العربية المتحدة لا تعترف بهيئات او احزاب او اشخاص ولا طبقات . حرية للشعب وليست لاعدائه وخائنيه والمتآمرين على امنه وسيادته واستقلاله جمهورية عربية متحدة تؤمن ان لها صنو هذه الحرية في المجال الدولي ، لانها تؤمن بالحياد والسلام دون ان تخشى تهديداً او وعيداً .. وكما هي في الداخل ضد الخونة والمارقين ، فهي في الخارج ضد سياسة المعسكرات ومعكري سلام العالم وامنه والداعين الى الاحلاف والعدوان ، لايمانها المكين بأن الدفاع عن السلام لا يتجزأ والدفاع عن الحرية وضد الاعيب الاستعمار لا يتجزأ . جمهورية عربية متحدة قامت لتكون درع الضعفاء ومشعل الاقوياء وأمل العرب الاحرار من المحيط الى الخليج . جمهورية عربية متحدة لها من ماضيها الزاهر وحاضرها الحي ومستقبلها البسام ، مايمكنها من الاستقلال بأفكارها ومبادئها واسلوبها في الاصلاح والسياسة والحكم ، فلا تستعير ولا تسمح بالاستعارة من مبادىء الشرق والغرب . جمهورية عربية متحدة شعارها : (الله والشعب) .

هذا هو تاريخ العرب قبل ثورتهم وهذا هو تاريخهم بعدها وليس غريباً بعد هذا كله ان تكون فلسفة الثورة بعد ست سنوات على مولدها ، فلسفة العروبة في الاصلاح والسياسة والحكم . وان يكون الرئيس جمال عبد الناصر ، زعيم الشعب العربي وامله المرتجى من المحيط الى الخليج .

فهرس العدد

العدد الرابع - آب (اغسطس) ١٩٥٨ - السنة الاولى